عرفه عبده على

" حرب الأقنعة "

أخطر ٤ عمليات من ملفات المخابرات المصرية تنشر للمرة الأولى

١ ـ الطاحونة الحمراء

٢ ـ جاسوس الشمبانيا !

٣ـ جاسوس القمة

٤ ـ عين النقب

٥ ـ أوراق من حياة دبلوماسى (قصة حب بين باريس والقاهرة)



أخطر عملية من ملفات المخابرات المصرية

الطاحونة الحمراء ..!

عرفه عبده على

كان الاسرائيليون يختالون دائما متباهين بقدرة أجهزة استخباراتهم ، وكانت تصريحات زعماء دولة الارهاب ـ السياسيين والعسكريين ـ تؤكد فى " تواضع زائف " أن أحداً لا يجسر على التغلغل داخل المجتمع الاسرائيلى ، داخل " الجدار الأمنى " الوهمى .. و أن المواطن الاسرائيلى لا يقبل أن يتعاون مع أجهزة المخابرات المعادية مهما كانت الدوافع!

و فى إطار " الحرب السرية " بين القاهرة وتل أبيب .. كان هناك أبطال حقيقيون ومغامرين مرتزقة .. و الاسرائيليون يذكرون جيداً " موردخاى كيدار " الاسرائيلى المولود فى فلسطين ، و ينتسب لأسرة كان عميدها " حاخاماً " و تلقى علوم فى مدرسة " الهاجاناه " العسكرية والذى كان ناقماً ً على مدير الموساد الاسرائيلى ـ فى ذلك الوقت " ايزر هاريل " بوصفه كان عاملاً فى مصنع خل عند قيام الدولة اليهودية ، ولعل هذا ما يفسر رائحة " الخل " فى تقاديره ! ... حتى أجبر على تقديم استقالته فى ٢٤ مارس عام ١٩٦٣ ومع ذلك تعاون " موردخاى " مع جهاز المخابرات المصرية بكل " إخلاص " فى عهد رئيسه " زكريا محيى الدين " .

و يـذكر " الموسـاد أيضـاً : " أولـريتش شـنيفت " الـذى كـان مـن أبـرع الجواسيس الـذين قدمـوا خـدمات "جليلـة " لمصـر .. و الرجـل الاكثـر غموضـاً " الكسندر بولين " .. وبالطبع د . " إسرائيل بيير " وعشيقته "ديـانا ذهـابى" والذى كان كشفه ضربة قاصمة لأجهزة الاستخبارات الاسرائيلية وصدمه هائلة لما يسمـى بـ"الشعب اليهودى " !

ولو أن أحداً من الروائيين العالميين ، حاول أن يرسم بقلمه صورة لجاسوس محترف ، لما تمكن خياله من ابتكار شخصية تتمتع بهذا القدر من التعقيد : ضابط برتبـة كولونيـل ، أستاذ بجامعـة تـل أبيـب ، مستشـاراً للأمـن القـومى فـى الحكومـة الاسـرائيلية ، مـؤرخ بـوزارة الـدفاع ، معلقـاً عسكريـاً بصـحيفة " هامشـمار " وصـحيفة " هـاآرتس " و المستشـار المقـرب جـداً مـن " دافيـد بـن جوريـون " رئيس الحكومة الاسرائيلية فـى ذلك الوقت !

كان د . " اسرائيل بيير " هو الذى يحظى بكل هذة الوظائف .. وكل هذا النفوذ والشـهرة ! .. و قـد أثـار اعتقاله فى ليلة عيـد الفصـح عـام ١٩٦١ عاصفة فى أروقة " الموساد " الاسرائيلى ! .. بينما كان بن جوريون يصرخ : الهذه الدرجة كنت مغفلاً ! وعندما نظرت قصيته أمـام المحكمـة ، قـال ممثل الادعـاء : " إن اسرائيل كـان مطلعاً على أسرار الدولة وأنه أفشى هذه الاسرار لأعداء اسرائيل" !

لم يكن بيير مطلعاً على أسرار " الدولة " فحسب ، بل كان أيضاً وثيق الصلـة بمؤسسـات واكاديميـات عسـكرية وأجهـزة مخـابرات فى القـارة الأوروبيـة ، كـان صديقاً لعدد كبير من الجنرالات والقادة السياسيين ، وكـان يدعى لإلقـاء محاضرات فى الاكاديميات العسكرية ورئاسات أركان الحرب فى جيوش أوروبا ، وتجول فـى قواعد حلف الأطلنطى وشهد عدداً من المناورات السرية !

فى واقع الأمر ، كان بيير نموذجاً فريداً للقدرة على التزييف والادعاء .. فهو لم يحصل أبداً على درجة الدكتوراة ، ومع ذلك تقدم الى جامعة تل أبيب مقترحاً أن تنشىء له "كرسياً" لمادة التاريخ ، وظل يلقى المحاضرات وينشر الابحاث وتأليف الكتب ومنها : " أمن اسرائيل ـ أمس واليوم وغداً " و " مشاكل الأمن " و " الشرق الأوسط بين الشرق والغرب " ..

ولد بيير فى " فينيا " وكان والده من رجال الصناعه الأثرياء ، درس فن الاخراج على " ماكس وينهارت " المخرج الألمانى الشهير ، و زعم أنه التحق بأكاديمية الفنون وحصل على دكتوراة فى الفلسفة ثم هجر الاخراج والفلسفة عقب صعود " هتلر " وفر الى اسبانيا وانضم الى الفرقة الحادية عشرة فى قتالها ضد القوات الألمانية .. ثم زعم أنه قرأ كتاباً عن الحركة الصهيونية ، الذى اكد قناعته فى ضرورة العمل على إقامة وطن قومى لليهود ، وفى " أرض الميعاد "كانت كل الظروف مهيأة لاستقبالة .. فى الوقت الذى كانت فيه عصابات " الهاجاناه " تتولى مهمة تدمير القرى الفلسطينية واعداد المذابح للسكان العرب .. ولأن بيير كان " ضابطاً " فى اسبانيا ـ كما زعم ـ وفى حقيبته شهادة للدكتوراة ، فقد شق طريقة بسرعة وسط عصابات من الجهلة المتعصبين حتى أصبح مديراً لعمليات الهاجاناه فى " الجليل " ثم أصبح مديراً ً للتخطيط ثم رئيساً لأركان حرب الجنرال " ايجال يادين " قائد الجيش فى حرب ١٩٤٨ وعندما أصبح رئيساً لقسم التاريخ بجامعة تل أبيب ، أقيم حفل تكريم حضره " بن جوريون " وألقى فيه كلمة هنأ فيها المؤرخ و المقاتل العظيم الذى لن يجود الزمان بمثله !

و كما تنوعت حياته العامه ، تنوعت كذلك حياته الخاصه .. فقد كان شغوفاً بالنساء ، فغرق فى العلاقات الخاصه ، وكثيراً ما شوهد فى الملاهى الليلية بصحبة الفتيات الصغيرات !

وكان بيته بشارع " برانديس " رقم ٦٧ بتل أبيب أشبه بالملهى الليلى حيث السهرات الصاخبة !

لم يكن بيير جاسوساً بطبيعته ، ولكنه تمكن من تحقيق ذاته فى اسرائيل وكان منطقياً فى مجتمع قام اساساً على أكذوبة " أرض الميعاد " أن يتبنى رجلاً مسلحاً بالاكاذيب ، ففتحت أمامه الأبواب وتعددت مناصبه المرموقة وذاعت شهرته ، وكان مقرراً أن يظل بيير فى اتجاهه الصاعد ، لولا أحداث حرب ١٩٥٦ والتى تمخضت عن سطوع نجم جديد هو " موشى ديان " الذى كان يضمر العداء لبيير نظراً لمكانته فى قيادة أركان الجيش وثقافته العسكرية والتاريخيه الواسعه .. وتصاعد حقد كل منهما على الآخر ، حتى سلطت الأضواء على ديان الذى وجد نفسه فى موقف يسمح له بالاعلان عن أحقاده القديمة تجاه خصمه القديم " بيير " !

فى خريف عام ١٩٥٥ ، دعا بن جوريون رئيس الحكومة الاسرائيلية الى اجتماع عاجل لمجلس الوزراء بحضور " عيزر هاريل " رئيس جهاز الموساد " ، وكان ضمن الذين شملتهم الدعوة المحلل السياسى والضابط السابق اسرائيل بيير وكان هذا أمرا غريبا لستنكرة بشدة موشية ديان عندما مال على " عيزر هاريل " قائلاً له : ما الذى اتى بهذا الرجل الى هنا ؟! .. نظر الجميع لبعضهم بعضاً يستطلعون الحدث قبل وقوعه وقطع نظرات الدهشه أحد الوزراء عندما هم بالكلام وقبل ان يكمل كلمته الاولى اكمل بن جوريون قائلاً : انه ليس تعارفا بالمعنى الذى فهمتموه ولكنى اود ان اقول لكم اننى أصدرت صباح اليوم قبيل هذا الاجتماع مباشرة قراراً بتعيين السيد " اسرائيل بيير " مستشاراً للامن القومى الاسرائيلى ومساعداً فى الشئون الامنية !

وصرخ ديان : تقول من يا سيدى الرئيس ؟

قال بن جوريون فى حزم : صديقى ومستشارى إسرائيل بيير .

لم يخجل ديان من الوقوف منتصبا وكأنه يهم بالخروج من المجلس قائلاً لبن جوريون : سيدى هــذا الرجل الذى تريد ان تسلمه خزائن امن اسرائيل ، مجهول الهوية تماما كيف يحدث هذا .. انا غير موافق على تعيينه فى هــذا المنصب . إبتسم بن جوريون ورد على ديان وهو ينظر باتجاه الرجل الاصلع بيير قائلاً : هذه مشكلتك ديان اذا لـم تكن تعرفه ، أما أنا فأعرفه جيداً وأثق فيه تماماً ، لقد خدم هذا الرجل إسرائيل بجديه ونشاط منذ ان هاجر اليها من النمسا عام ١٩٣٥ ، ورأيته فى جيش الهاجاناه السرى ورأيته وهو يخدم فى جيش الدفاع الاسرائيلى بنشاط فائق كما انه متميز سياسيا ولديه قدرات تفتقر انت شخصيا اليها .. ارجوك اصمت ولست هنا بصد أخذ رأيك .. ثـم اردف : انا اعلم تماما ان الغيرة لها مكان فى صراخك هذا ..!

بعد انتهاء الاجتماع العاصف الذى شهد اعلان تعيين " بيير " مستشاراً للامن القومى الاسرائيلى ، خرج ديان من مكتب رئيس الوزراء ليسير بمحاذاه عيزر وكل منهما ينظر نحو الاخر نظرات صامته ذات مغزى.. وفى المساء طلب عيزر من ديان ان يزوره فى مكتبه أو ان ينتظره ليحضر هو اليه ، ودون ان يسأله ديان عــن سبب القاء ادرك ان عيزر يريد ان يتحدث معه بشأن المستشار الجديد للأمن القومى لإسرائيل .

فى الثامنه مساء كان عيزر يستقبل ديان بمكتبه بمبنى الموساد فى تل أبيب و الذى فاجأه بسؤال حـاسم وحـازم : عيزر أريد أن أعرف كل شيء عن هذا الرجل ..

نظر اليه عيزر نظرة استخفاف وقال له : اليوم وبعد كل هذه السنوات تأتى لتسألنى من هو هذا الرجل ؟!

قال ديان : فى الماضى لم يكن مهما ان يلتحق بالجيش ولكن اليوم سيضطلع بمهام تمس أمن اسرائيل فـى الصميم!

خرج بيير من قاعة الاجتماعات منتشيا بالنتائج التى حصل عليها خلال هذا الاجتماع فقد كان هذا المنصب هو أكبر مما كان يطمح اليه فى هذا الوقت وفى مثل هذه الظروف خاصة بعد ان عمد موشيه ديان الى الاساءه لسمعته فضلا عن ملاحقة عيزر له ومتابعته متابعه حثيثة اثناء لقائه بإحدى عشيقاته .

وخلال الطريق الذى قطعه من غرفة الاجتماعات وحتى الباب الخارجى كان يتلقى التهانى من كل العاملين بمجلس الوزراء وقبيل ان يخرج من بوابة المجلس ليستقل سيارته فوجىء بأحد الحراس يعدو خلفه طالبا موافاة بن جوريون فى مكتبه .

عاد بيير منزعجا لهذا الاستدعاء السريع بعد هذا الاجتماع الصاخب ودخل مكتب رئيس الوزراء .. سيدى ماذا هناك لقد كنت خرجت بالفعل من المقر ، رد بن جوريون عزيزى بيير .. ارجو أن تسمعنى جيداً .. اليوم بالطبع ادركت كم يكرهك ديان وكم يكرهك عيزر أيضاً وهما أخطر شخصيتين فى المجلس ، فكن حذراً ولا تفسح لهما المجال لان يضبطا عليك موقفا يحسب عليك لانك انت إسرائيل بيير محسوب على ، فى المساء كان لابد لاسرائيل بيير ان يحتفل بهذه المناسه فاتصل بإحدى عشيقاته وكان اسمها حنه وطلبها ان تلتقيه فى حانة أتوم فى شارع بن يهودا الصاخب فى تل أبيب وقال لها لا تتخلفى فلدى هدية رائعة لك ومفاجأة ستسعدك بلا شك .

فى التاسعه مساء كان اسرائيل بيير يقدم هديته لعشيقته - وهى زوجه لاحد ضباط وزارة الدفاع الاسرائيليه وكان زوجها شديد الغيرة عليها ودائم الشك فيها لشدة جمالها ، وبعد نصف ساعه بالضبط من وصولها لحانة أتوم ولقائها بيير فوجىء الاثنان بشالوم زوجها يقف على رأسيهما وقبل أن ينطق احدهما بكلمه إنهال

الضابط بالكلمات والصفعات الشديدة على وجه إسرائيل بيير حتى وقعت سنتان من اسنان بيير واخذ ينزف وقــام بعض العاملين بالحانه بنقله لمستشفى تل أبيب .

بعد ايام عندما سأله بن جوريون عن اسنانه المفقود قال له : لقد فقدتهما يا سيدى فـى حادث سيارة .. بينما ضحك كل من ديان وعيزر عندما وصلهما الخبر ، وإتصـل ديـان بعيـزر قـائلاً لـه : لا أعتقـد انـك بعيـد عمـا حـدث لهـذا المـارق !

كان بيير يصف " موشى ديان " بأنــه جاهل أفاق كـــل مؤهلاته رصاصة طائشة اقتلعت احدى عينية !.. وكان ديان فى كل اجتماع يسفه أراء بيير أمام كبار الضباط " إن بيير قرأ كثيراً فى الشئون العسكرية لكنه غير قادر علــى كسب معركة على الارض " ! .. ووصلت الأزمة ذروتها عندمـــا طلب منـــه ديان فـــى أحدى المرات : مغادرة الاجتماع !

كان بن جوريون قد إقترح أن يقوم بيير . بإعتباره خبيراً عسكرياً ومؤرخاً عظيمـاً يملـك كـل المقومـات العلميـة . بكتابـة تـاريخ " حـرب الإسـتقلال " ذلـك المصطلح الذى يطلقونه على حرب ١٩٤٨ وعقب الموافقة على الإقتراح ، خصص له بن جوريون مكتباً بجوار مكتبه بوزارة الدفاع ، وسكرتيرة شقراء رائعة الجمال .. وكان له مطلق الحرية فى التجول فى أروقة وزارة الدفاع ليس بهدف كتابة التاريخ وإنما لجمع المعلومات!

كما كان بيير شغوفاً بالرحلات ، وكانت السفارة الاسرائيلية فــى " بون " تتولى دفع كافة نفقاته فـى أوروبا من المصروفات السرية ، بتعليمات من بن جوريون ورؤسـاء المخـابرات الاسـرائيلية ، باعتبـار أنـه يمثـل وزارة الـدفاع فى مهـام سـرية! ..

واستغل بيير هذا المنهل ، فكان يقيم فى أرقى الفنادق ليشبع نهمه .إلى الحياة الأرستقراطية و الطعام الفاخر و الخمور الجيدة والحسناوات الأوروبيات ..

لقاء فى "مولان روج"

....

فى ركن من اركان الملهى الليلى الشهير بباريس جلس رجل اصلع الرأس طويل القامة، ذو ملامح أوروبية يشرب الخمر بنهم شديد وبين الفينة والاخرى ينظر حوله كمن يبحث عن شى محدد لكنه لا يعرف عن اى شيء يبحث بالضبط وان كان يبدو انه ينتظر أحدا حيث لفت انتباهه حركة اولئك الذين كانوا يتوافدون على الملهى بين وقت وآخر.

وكان رغم سكره الشديد ثابتا فى مكانه ولا يتحدث كثيرا ولا يأتى بحركات كذلك التى يقوم بها السكارى الثملون وعلى مقربة منه جلست امرأتان بدت احداهما كما لو كانت فتاة ليل وقد انشغلت بالحديث مع السيدة الاخرى التى كانت شديدة الجمال تشى ملابسها وهيئتها بأنها احدى سيدات الاعمال الثريات اللاتى يفدن على باريس لعقد صفقاتهن. كانت فتاة الليل تحاول ان تلفت نظر الرجل الاصلع الغامض الذى يجلس على مقربة منهما مع حرصهما على ان يبدو الامر بصورة طبيعية لا توحى بسعيها الى التعرف اليه أو مجالسته.. لذلك ارتفع صوتها ليسمعها الرجل المقصود ماذا تقولين؟! ثلاثة ملايين فرنك! نعم وماذا فى ذلك؟ انها اقل صفقة عقدتها هذه السنة.

- وهل هذه التجارة مربحة الى هذا الحد.

- نعم... انها تعادل تجارة المخدرات ولكنها بالطبع ليست مثلها بل اكثر امنا.

- وأين ستذهب هذه الصفقة؟

– إلى إسرائيل .

التفــت الرجــل الاصــلع فجــأة نحــو الســيدتين.. وقــال عفــوا هــل ناديتمــانى؟ ردت فتاة الليل: يسعدنا ان نناديك ولكن كنا نتحدث عن عملية تجارية ستتم فى إسرائيل ضحك الرجل السكران وقال لم تذهبا بعيدا.. فانا اسمى إسرائيل واعيش فى إسرائيل .

صرخت المرأة ووجهت حديثها إلى صديقتها هل تصدقين هذا يا ديانا .. يالها من مصادفة ؟!

اقترب إسرائيل بيير او بارائيل كما يطلق عليه فى إسرائيل من السيدتين قائلا... اذا لم تمــانع ســيدتاى فيســعدنى ان استضــيفكما الليلــة.

كان هذا الرجل هو الهدف المحدد لعمليتى المخابرات المصرية لانه ببساطة كان مستشار بن جوريون للأمن القومى.

كانت " ديانا " يهودية فرنسية ، نموذج رائع للأنوثة ، حريصة على إبراز مفاتنها التى لا تقاوم !.. ومع ذلك كانت مثقفة شغوفة بالروايات والإتجاهات الأدبية الحديثة !.. وتجيد الإنجليزية .. وكما كانت شرهة فى طلب النقود ، كانت أيضاً شرهة فى الإنفاق على نفسها ، شخصية تبدو غريبة الأطوار ، والأغرب أنها كانت تعمل راقصة فى ملاهى باريس !.. وفى نفس الوقت عميلة للمخابرات المصرية .

إنطلق بيير بصحبة ديانا سعيداً لاهياً .. زارا معاً بعض معالم باريس وسهرا فى علب الليل وعب بيير من أجود الخمور ، وإقترحت عليه القيام برحلة إلى سويسرا والإستمتاع بطبيعتها الخلابة الساحرة وبالطبع فى كل تنقلاتهما وخلال رحلتهما كانت المخابرات المصرية ترصد خطواتهما .

عقب العودة من رحلة سويسرا عادا إلى باريس ، يلهوان فى كل ملاهيها ، ولم يتركا شيئا لم يفعلاه ، حتى نفدت أموال بيير تماما .. وعندها قرر العودة إلى إسرائيل طالبا من صديقته الجديدة أن تهيء نفسها لملاقاته فى إسرائيل فى أقرب فرصة .

أكدت له ديانا أنها سترتب أمورها وستلحق به ...

ذات مساء رن هاتف بيير فى منزله ، كانت المكالمة من خارج إسرائيل والصوت المتصل من الأصوات التى أحبها بيير أخيرا .. كانت فرحته بلا حدود .. فالمتصلة هى صديقة باريس التى إلتقاها مؤخرا.

الجاسوسة النادرة !

....

أغرق بيير نفسه فى الخمر ، إزاء الإجراءات الإنتقامية التى إتخذها ضده الجنرال ديان الذى أمر بوقف هذا " الإسراف " من المصروفات السرية ، وأصيب بيير باضطراب عصبى .. وتخلت عنه عشيقاته إلا " ديانا ذهابى " التى كانت تكن له أرق العواطف الانسانية .. وبكت من اجله .. وقررت أن تهب لنجدته .. وأن تقدم العون لعشيقها " الرجل الخطير " !

ولعل من غرائب هذه القصة أن : رفعت الجمال (جاك بيتون) والذى كان واحداً من نجوم المجتمع الإسرائيلى ، كان صديقاً للدكتور بيير وقد تردد عليه فى شقته الخاصة أكثر من مرة ، وبيير المعروف بكثرة عشيقاته ، تقريب بيتون إلى إحداهن وأقربهن إلى د. بيير ، فوضعها على بداية الطريق ثم تركها لرجال المخابرات المصرية .

وعندما إستطاع ديان وقف جميع الإمتيازات المالية الضخمة التى كان يتمتع بها د. بيير الذى عانى كثيراً فى تلك المحنة فأغرق نفسه فى الخمر وبدا مضطرباً عصبياً ، وانفض الجميع من حوله إلا عشيقته المقربة ، وفى ليلة جمعتها برفعت الجمال أفضت إليه بأنها ترغب فى مساعدة د. بيير وإنقاذه فى محنته والمال هو السبيل الوحيد لإنقاذه ووعدها الجمال ببذل كل جهده لمساعدته وأبرق إلى جهاز المخابرات الإسرائيلية بأنه : وضع يده على مفتاح إسرائيل !.. وطلب السماح له بالاقتراب منه أكثر ، وعندما التقى بضابط المخابرات المصرى فى روما "الخواجا بنيايوتى" فى بهو فندق "امبريال" أجابه : لم يحن الوقت بعد .. فسوف يحضر إليك بنفسه .. لا تتعجل !

وكم كانت لفته رائعة من الجمال صاحب شركة ستورز للسياحة : تذكرة طيران هدية مع إقامة لمدة اسبوع كامل فى باريس لعشيقة بيير ، وأخبرها بأنها ستلتقى هناك برجل . تعرف عليه مصادفة . أخبره بأنه يعمل فى منظمة إنسانية عالمية تعمل لتحقيق السلام ، وأن هذه المنظمة تسعى إلى أن يتعاون معها المثقفون والخبراء من أمثال د. بيير ومن المؤكد أنهم سيدفعون مقابلاً مادياً جيداً !

فى باريس ، حاول ضابط المخابرات المصرى "ديمترى جوزيف" أن يتذكر اسم جاك بيتون وهو ينظر فى الكارت الذى قدمته له عشيقة بيير الفاتنة ثم قال : نعم تذكرته .. لقد قابلته مرة فى هذا الفندق ، إنه رجل خفيف الظل وعاشق لإسرائيل !.. ثم أخبرها أنها ستقابل الرجل المسؤول عن المنظمة .

فى غرفة جانبية ، فى الطابق الثانى من مبنى شركة سياحية فى باريس ، كانت ديانا تتأمل محتويات الغرفة وستائرها المسدلة .. حتى دخل عليها شاب طويل قوى البنيان مرحباً بها فى مكتب المخابرات المصرية بباريس وسألها هل أنت و د. بيير

مستعدان لتزويدنا بالمعلومات التى نطلبها ، فأجابت بسرعة : أنا على إستعداد أن أفعل أى شيء مهما كان ، مقابل مساعدة بيير وهو يعلم أننى أسعى لمساعدته .

وطلب منها ألا تخبر بيتون الذى أرسلها من إسرائيل بأية معلومات تأميناً لها ، وكان اللقاء الثانى بعد أسبوعين فى روما .

وفى القاهرة طُرحت حكاية ديانا على مائدة بحث سرية فى مبنى المخابرات المصرية ، ضمت : صلاح نصر ، ونائبه لشئون الجاسوسية ومساعده المختص بشئون إسرائيل ، وفى منتصف الليل ، وفى عربة صغيرة ، توجه صلاح نصر إلى عبدالناصر فى منزله بمنشية البكرى ، وفى الصباح إستقر الرأى بعد بحث مرهق إلى أن الحاجة إلى المال هى دافع ديانا بالإضافة إلى الحالة النفسية السيئة التى أصابت عشيقها والتى تسبب فيها الجنرال ديان ، واستُبعِد إحتمال أن تكون ديانا عميلة مدسوسة وإعتُبرت العملية نظيفة تماماً وإتُخذ القرار بالإغداق عليها حتى تتمكن من مساعدة عشيقها .. وكانت المخابرات المصرية تعرف تماماً من يكون هذا العشيق !

ومن أجلها ، طُبق نظام أمنى معقد وضع بإحكام لكى تتسلم المخابرات المصرية ما تقدمه ديانا من معلومات ، دون إكتشاف علاقتها بالمخابرات المصرية.

كان رجال المخابرات المصرية على استعداد لأية تضحيات مادية من أجل الوصول الى شخص فى مكانة بيير .. ومن أجل هذة الجاسوسة " النادرة " استخدمت المخابرات المصرية اجراءات معقده : اختين غير شقيقتين ، الكبرى فرنسية الأم ، والصغرى مصرية خالصه ، كانت الكبرى تعمل فى إحدى مكتبات باريس الشهيرة ، وقد اختصت بدور " صندوق البريد " وكان الاتفاق أن تتخير ديانا الأوقات التى تخلو فيها المكتبة من الرواد وتنتقى كتابا ثم تسلم ما لديها من

معلومات خلال دفع ثمن الكتاب ، وكـان طبيعياً أن تزور الصغرى أختها الكبرى عندما تسافر الى أوروبا ، ولكى تتعدد زياراتها ، أوجدت لها وظيفة مضيفه بشركة مصـر للطيران ، وهكذا انتظمت المعلومات مـن وزارة الدفاع الاسرائيلية ومكتب بـن جوريون واتخـذت الأموال نفس الاتجاه المعاكس !

فى تل أبيب

....

كان بيير شديد الثقة وبالغ الإعتداد بنفسه .. وكان بحكم عمله يطلع على وثائق ومستندات مهمة خاصة بالخطط العسكرية الإسرائيلية إلا أنه كان يلقى بمجرد دخوله شقة صديقته، بالأوراق دونما اهتمام ويترك أهم وأخطر المستندات العسكرية قريبة من يدى ريناتا التى اعتمدت طريقة ذكية فى الحصول على ما تريد حيث كانت تجعله يسكر تماما فلا يستطيع أن يرى ما يحدث أمامه ثم تجذبه إلى غرفة النوم فتجهز على ما تبقى منه وتقوم بعد تأكدها من استغراقه فى نوم عميق إلى غرفة المكتب وتفتح حقائبه وتجمع المستندات وتصورها تصويرا دقيقا وتحتفظ بالأفلام لحين موعد سـفرها.

واستمرت على هـذه الحـال قرابـة الشـهرين وهـى تحصـل منـه علـى كـل المستندات التى بحوزته بصفته الوظيفية فتأخذ نسخا منها ومن تلك التى يحتفظ بها فى خزانة خاصة فقد استطاعت أيضا أن تصل إليها وإلى ما فيها .

كانت المعلومات التى ترسلها ديانا أثمن من أن تقدر بالمال ، وكان ديان يترقب انهيار خصمـه اللدود عقب منع الاموال السرية عنه .. ولذلك لجأ المصريون

الى حيلة ذكية عندما طلبوا من ديانا أن يقوم بيير بإعادة طبع كتبه ، على أن تشترى المخابرات المصرية جميع النسخ .. وكان هذا سر رواج مؤلفات بيير !

أمدت ديانا المخابرات المصرية بأكثر من أربعمائة وثيقة ، تضمنت تنظيم وزارة الدفاع الاسرائيلية ، وخطط تسليح الجيش الاسرائيلى ، وبيانات عن اعداد الألوية المدرعة والوحدات الملحقة ومخزون الذخائر وخطط تنظيم التعاون بين القوات الجوية والبرية وقوائم بأسماء كبار القادة والضباط وعناوين اقامتهم !.. كما كان المصريون يطلعون أولا بأول على محاضر إجتماعات القيادة العليا ، ولما كان بيير مستشاراً للأمن القومى ، فقد كانت نظم الأمن على الحدود معروفة للقيادة المصرية ، وأسهمت هذة المعلومات فى توسيع عمليات الكوماندوز المصريين داخل إسرائيل .

لم تكن المعلومات وحدها هى محصلة جهود ديانا النشيطة ولكن عملها إمتد إلى مجال آخر ، إذا كان عليها أن توحى إلى عشيقها بالأفكار التى كانت القاهرة تدسها إليها وأثبتت . العميلة النادرة . براعتها عندما كتب بيير فى ٢٢ إبريل عام ١٩٦٠ مقالاً فى هاآرتس بعنوان : سياسة وسياسة مضادة فى الصراع مع ج.ع.م وعلى الرغم من أنه هاجم عبدالناصر ووصفه بالدكتاتور والمغامر إلا أنه كتب : " هناك فارقاً كبيراً بين عبدالناصر وهتلر ، إذ أن عبدالناصر خرج من صفوف الشعب " !

وإتخذت مقالاته فيما بعد مسارات جديدة .. مثل فكرة قيام دولة علمانية تضم الإسرائيلين والفلسطينين ، كما عارض سياسة القمع والإرهاب وأوضاع الاجئين .. إلى أن بدأ يسخر من سيطرة المؤسسة العسكرية على أوضاع البلاد !

أفرط بيير فى الشراب والملذات ، وازدادت النوبات العصبية كما أثر مرض " باركنسون " علــى اتزانه وتحملت ديانا عبئاً كبيراً ، وكاد صبرها أن ينفد عندمـا حاول بيير إستعادة علاقته بإحدى عشيقاته القدامى " أورا " ودعاها الى الإقامه معه .. ولكن المصريين نصحوها بالصبر .. وقبيل النهاية بنحــو ثلاثة شهور ، اتخذ بيير قراراً غريباً بنقل وثائق وزارة الدفاع الــى غرفة مكتبه بالبيت ، وكانت ديانا تحصل على صورة من هذة الوثائق " الثمينة " !

و تتابعت الاحداث بصورة دراماتيكية .. حتى قبض على بيير وأسفر تفتيش مكتبه عـن : ثلاثين كيلو جراماً من الوثـائق البالغة السرية ! .. ومبلغ كبير مـن الدولارات .. ولــم يكن بيت بيير بالمكان المناسب للاحتفاظ بهذة الاسرار ، ومن المدهش أن ديانا كانت من الجرأة أن تحتفظ ـ بعد اعتقال بيير بعشرة ايام ـ بعدد ضخم مـــن الافلام وصور الوثائق ، حتى تمكنت من توصيلها كالمعتاد !.. وكان ضمن الوثائق : المفكرة الشخصية لديفيد بـن جوروين وكان بيير قد حصل عليها بحجة إعداد كتاب عن سيرة " بن جوريون " وانه فــى حاجه لمعرفة بعض الأمور الخاصه !.. وكم كانت مفاجأة لضباط المخابرات المصرية عندما وجدوا بين أيديهم المفكرة الخاصه برئيس وزراء إسرائيل وما تتضمنه من أسرار ومعلومات بالغة الخطورة !

وأمـام المحكمـة ، انكـر بيير جميع الاتهامـات وعـاد الى اختلاق الاكاذيب واعترف بأنه لـم يذهب فى حياته الى اسبانيا وأنه لم يلتحق بأية أكاديمية ، وزعـم أن الاموال التـــى ضبطت بحوزته كانت وديعة من صديق ألمانى ثرى !

خـلال المحاكمـة عمـد قـادة الموسـاد على توجيـه محاكمـة بيير نحو تهمـة التجسـس لصـالح الإتحـاد السـوفيتى !.. كمـا تم التحقيـق مع ديانـا بالتحديـد حـول

إمكانية أن يكون لها علاقة بالعرب !.. وأثبتت ديانا البارعة أنه لم يكن لها صلة بنشاطات التجسس التى كان يقوم بها بيير .

إننا أمام مفارقة مدهشة : فهناك سيدة . غير عادية . كانت تقوم بأخطر دور فى عملية تجسس متكاملة ، وواجهت هذه السيدة إستجوابا دقيقا أمام ضباط الموساد ومع ذلك تمكنت من خداع هؤلاء الضباط وأفلتت من حصارهم .. فكانت نموذجا على براعة المصريين الذين يدربون عملائهم على تأمين أنفسهم ومواجهة مراحل الإستجواب بإعتبارها مسألة بالغة الأهمية !

وصدر الحكم بسجن " الرجل الخطير " خمس عشرة عام ، وفى الثانى من مايو ١٩٦٢ صدر بيان رسمى بوفاة اسرائيل بيير .. ويسدل الستار على حياة رجل .. ولـم يكن جاسوساً فحسب ، بل أفاقاً خدع دولة بأكملها !!

أوراق من ملف
د. إسرائيل بيير (أو بار كما إشتهر فى إسرائيل) :

ولد فى التاسع من أكتوبر عام ١٩١٢ فى أسرة من الطبقة الوسطى فى فيينا ، هاجر والداه إلى الولايات المتحدة الأمريكية ولكنهما عادا بعد وقت قصير ، التحق بيير بالأكاديمية العسكرية النمساوية " فينز نويشنات " وخدم كضابط فى جيش الدفاع النمساوى " الشوتسباند " وزعم أنه حصل على درجة الدكتوراة فى الأدب الألمانى من جامعة فيينا .. انضم إلى حركة التمرد ضد الدكتاتور " انجلبرت دولفوس " المستشار النمساوى وشارك فى حرب الشوارع ضد النازيين عام ١٩٣٤ ، توجه إلى أسبانيا عام ١٩٣٦ وشارك فى الحرب الأهلية الأسبانية ضمن قوات الحزب الجمهورى ، وأهله تدريبه العسكرى لأن يكون قائد عمليات ، وتعرف على كبار العسكريين الشيوعيين وشارك معهم فى معركتى : مدريد وجوادا لاجارا الشهيرتين ، وعندما أيقن بخسارة الحرب هرب من أسبانيا أوائل عام ١٩٣٨ وعاد إلى فيينا ، وتأثر بالفكر الصهيونى خاصة بعد أن قرأ السيرة الذاتية لـ " تيودور هرتزل " فقرر الهجرة إلى فلسطين .

كان بيير حريصاً على تكرار سرد حياته وحتى منذ البدء فى إستجوابه من ضباط الموساد وخلال جلسات محاكمته كان يردد نفس القصة مع بعض التفاصيل قائلاً : " هذه هى قصة حياتى مثلما تعرفون جميعاً " !

كـان بيـير علـى درايـة نظريـة بـالنظم العسـكرية وفنـون الحـرب والخطـط الإسـتراتيجية وتحليـل المعـارك مما أعطـى إنطباعـاً رائعـاً لقـادة " الهاجانـاه " وأصـبح صديقاً لإسحاق ساديه وإيجال ألون وإسرائيل جليلى وشمعون أقيدان وغيرهم .

مع إنشاء جيش الدفاع الإسرائيلى عين مساعداً للجنرال إيجال ألون قائد العمليات خلال ما عرف بـ" حرب الإستقلال " !.. وحصل بيير على رتبة " عقيد " وتولى إدارة التخطيط وكان يأمل فى أن يعين نائباً لرئيس الأركان " ياكوف دورى " الذى بدأت حالته الصحية تتدهور .. إلى أن تقاعد بيير فى نهاية عام ١٩٥٠ .

وعلى الرغم مما وصل إليه وخلفيته العسكرية ، إلا أنه كان يجهل تماماً علم التدريب الميدانى ولاحظ " موشى ديان " ذلك فقال ساخراً : كيف كان العقيد بار مناضلاً فى إسبانياوهو لا يعرف فك أجزاء البندقية ؟!.. كان ديان دائم الحنق على بيير خاصة بعد تصاعد شهرته كخبير فى الشئون العسكرية وكونه أصبح أقرب أصدقاء " بن جوريون " وغدا شخصية بارزة فى الحياة الإسرائيلية العامة ..

فى عـام ١٩٥٥ طلـب منـه بـن جوريـون أن يكتـب تاريخـاً رسميـاً لحـرب الإستقلال وخصص له غرفة مجاورة لمكتبه بوزارة الدفاع ليتفرغ لأبحاثه ، وكان يحضر إجتماعات رئاسة الأركان البالغة السرية ، ويحصل على ما يشاء من معلومات ، وكانت خطط الجيش ووثائق الوزارة ذات الأهمية القصوى بين يديه !

وتمتع بيير بكثير من الإمتيازات ، كان على رأسها : سكرتيرة شقراء رائعة الجمال .. وسيارة مزودة بزجاج ضد الرصاص ومقاعد مبطنة بصفائح مضادة للنيران وأرضية مضادة للألغام .. أى سيارة تماثل سيارة رئيس الوزراء بن جوريون !.. وهاتف سرى غير مدرج فى دليل التليفونات !

إمتدت شهرة بيير كخبير عسكرى إلى خارج إسرائيل ، وإستحوذ على إعجاب قيادة حلف شمال الأطلسى " الناتو " لتحليلاته البارعة التى قدمها عن إستراتيجية مواجهة نشوب حرب برية فى أوروبا .. وأثنى عليه علانية جنرالات فرنسا والسويد والنرويج لتفهمه الواسع المدى لمختلف الشئون العسكرية !

واصل اسرائيل بيير إلقاء محاضراته فى الإستراتيجية العسكرية بقاعة المحاضرات بهيئة أركان الجيش الإسرائيلى ، والتى كان يحضرها رئيس الوزراء وكبار القادة والضباط .. وكان من بينهم " الكسندر بولين " الضابط المثقف والذى كان أيضاً موجهاً سياسياً بوحدة البالماخ وقسم التوعية السياسية بالجيش الإسرائيلى ، وكان يدعى إلى هذه المحاضرات . مستمعاً ومحاضراً . والأهم أنه الضابط الإسرائيلى الذى جندته المخابرات المصرية وإشتهر فى أوساطها بـ" عين النقب " وسنأتى على تفاصيل قصته فيما بعد .

كماكان بيير من أبرز الشخصيات المدعوة للإحتفال السنوى بـ" يوم المخابرات " على الرغم من كراهية ايزر هاريل . صديق ديان . له !..

فى هذا اليوم تجتمع عائلات ضباط أجهزة المخابرات ، ويخطب فيهم مدير الموساد ، ثم يقوم الجميع بزيارة للمتحف التذكارى الحافل بالمقتنيات : أجهزة إرسال ، أجهزة تنصت ، أجهزة تسجيل ، أخبار سرية فى زجاجات عطر ، ملابس إستخدمت فى عمليات سرية .. ويقف الجميع أمام شاهد كل قبر لتحيته .. وقد تركت مساحة صفراء مناسبة لإضافة أسماء جديدة !

وبإعتباره واحداً من " النخبة الأمنية " كان بيير يحضر إجتماعات هيئة الأركان . مرتدياً زى الجيش الإسرائيلى برتبة عقيد ، مما دعا ديان للتعليق أكثر من مرة : أنا لا أعرف ماذا يفعل هذا الرجل هنا ؟!.. وشارك ضمن وفد رسمى برئاسة " بن جوريون " فى مباحثاته السرية مع فرنسا والولايات المتحدة قبيل " حملة سيناء " حرب عام ١٩٥٦ .

أقام بيير علاقات جيدة بجنرالات الجيش الألمانى ، كما إرتبط بعلاقات وثيقة مع الجنرال " جيهلن راينهارد " رئيس الإستخبارات فى ألمانيا الغربية ، الذى رتب له عدداً من الإجتماعات والمحاضرات مع رؤساء وضباط الإدارات المختلفة .. وأمر وزير الدفاع البولندى بتخصيص طائرة له تذهب به إلى لندن .

عقب زياراته المتكررة إلى باريس وألمانيا الشرقية وبولندا .. إستدعاه هاريل إلى مكتبه .. جلس البروفيسور بيير ذى الشارب الأصفر واضعاً ساقاً على ساق وطريقته فى نفض سيجارُه تشير إلى إحتقاره التام لهاريل الذى ظل صامتاً لعدة دقائق وهو يحدق فى وجه بيير .. إلى أن سأله بحدة : لماذا أنت دائم السفر إلى أوروبا .. ولماذا زرت برلين الشرقية وبولندا .. ثم رفع صوته : ألم أحذرك من قبل من الإختلاط بالشيوعيين ؟.. ثم ضرب المكتب بقبضة يده وصاح : إننى احذرك يا بيير وأمنعك من السفر إلى أوروبا !

عندئذ وثب البروفيسور على قدميه غاضباً ، فلم يكن أحد . حتى بن جوريون نفسه . يجرؤ على التحدث إليه على هذا النحو !.. وأجابه صائحاً : إهتم بشئونك الخاصة ، وسوف أشكوك إلى رئيس الوزراء ، كما سأشكوك إلى الحزب أيضاً !.. ثم إندفع خارجاً من مكتب هاريل .

مضت عدة دقائق ، ورئيس الموساد يفكر فى صمت ، فقد كانت الشكوك تساوره بشأن اسرائيل بيير عدة سنوات . كان هذا قد كتب سلسلة من المقالات المعادية لأمريكا فى أثناء الحرب الكورية وكان أيزر يعلم أن بيير برغم إنضمامه إلى حزب بن جوريون (الماباى) ، كان منتمياً فيما مضى إلى جماعة المابام ، وهى الجناح اليسارى الأكثر تطرفاً ، والذى وضعه هاريل تحت المراقبة الدقيقة من قبل ضباطه فى الموساد . وكان للبرفسور نشاط قوى فى مناصرة الشيوعية آنذاك مما أدى به إلى تلك الجماعة أخيراً . ولم ينضم إلى التحالف الحاكم . برئاسة بن جوريون . إلا متأخراً ، وأصبح نهجه الجديد هو : قل يعيش بن جوريون ، ثم إفعل ما تشاء !

ولم يكن أيزر ليحارب بيير على إنتمائه السياسى ، ولكنه كان يعجب لقدرة الرجل على تغيير إنتمائه على ذلك النحو السريع الحاسم ، أما رئيس الموساد فلم يكن منتمياً إلى أى حزب ولكنه يعي ما يعتقده وعياً تاماً ، وكانت إنتهازية الرجل تثير الشكوك فى نفسه .

وبعد رحيل الخبير العسكرى المفاجىء ، إنزعج أيزر الجالس فى مكتبة مرة أخرى لشيء قاله ، الا وهو التحذير الذى وجهه بيير حال مغادرته بقوله سوف أشكوك إلى الحزب . فما الذى يقصده بذلك ؟ كان بيير يعلم أن أيسر لا ينتمى إلى أحزاب .

ومن قبل أحس أيسر بالإنزعاج بشأن بيير ، كما أحس بضرورة إطلاع بن جوريون على ذلك ، وقد نقل إهتمامه إلى رئيس الوزراء ، ولكن هذا كان يثق ببيير أكثر من أي وقت مضى ، لقد كان رئيس الوزراء يظن أن أيزر يصدر فى أمره هذا عن غِيره من شهرة بيير وتفوذه . بيد أن أيزر لم يتراجع لذلك . فذهب فى الحال لمقابلة رئيسه وطرح أمامه الأسباب الكامنة وراء الشكوك التى تساوره ، وقال : "

يقوم بيير منذ زمن بجمع معلومات عسكرية لا تتصل به فى شيء ، وهو يزور المدن الشيوعية فى رحلاته إلى أوروبا وتربطه صداقة . مسرفة . مع الدبلوماسيين الروس العاملين فى إسرائيل الذين يقابلهم كثراً " .

وقد بدت فى حياة بيير الإجتماعية بعض الجوانب الغريبة موخراً ، فهو ينفق أموالاً طائلة ، تزيد عما يكسب ، فى ملاهى تل أبيب . وعندما كان فى ميونيخ مؤخراً دفع مبلغ ٢٠٠ دولار دون أدنى إهتمام . وقد كان يشترى لنفسه ولعشيقاته ، ومنهن من يشك فى سلوكهن ، ملابس كثيرة غالية الأثمان . أما علاقاته مع زوجته رفكا فهى سيئة جداً . وهو يقضى لياليه يعاقر الراح فى الحانات كحانة . أتوم . فى شارع بن يهودا . وكان صوت أيسر مفعماً بالغضب لفساد أخلاق بيير . فهو لم يعرف الإنغماس فى هذه الرذائل طيلة حياته.

كان واضحا أن بيير يعانى من إجهاد ما ، هو إجهاد العميل الذى يمثل دورين فى الحياة ، ومنذ وقت قريب تورط فى فضيحة عامة : فقد هاجمه زوج إحدى عشيقاته ، ووجه إليه لكمات فى وجهه ، وهشم بعض أسنانه .. وكان بن جوريون على قناعة تامة بشخصية بيير وسلوكياته ، فلم يقبل دعاوى أيزر ، ورد بن جوريون بهدوء : من واجبك أن ترتاب فى كل شخص كائناً من كان ، أما أنا فثقتى مطلقة بهذا الرجل !

وإنتهت المقابلة بينهما بذلك ، ولكن المسألة بقيت قائمة لدى أيزر ، فأمر عملاءه بتشديد الرقابة على بيير فى أروقة وزارة الدفاع ، وأخذ فريق لأعمال التحرى ينقب فى ماضيه للتأكد من وجود حوانب مريبة ، أو أنصاف حقائق فى سيرة حياته كما خبر بها أصدقاءه وزملاءه .

كان أيزر يسعى للتحقق من واحد من . تخميناته . المشهورة .

سجا ليل ٢٨ مارس ١٩٦١ ، بعد حوالى ثمانية أشهر من المواجهة الدرامية التى تمت بين أيسر هاريل وبين اسرائيل بيير فى مكتب رئيس الموساد . كان اليهود يحتفلون بعيد الفصح ، وهو أحد من أخصب الأعياد وأحبها إلى اليهود ، ففيه يحتفلون بالخلاص من العبودية فى مصر ، وفى منازل اليهود فى جميع أرجاء العالم ، تجلس العائلات حول الموائد لتناول . السيدير . وهى وجبة عيد الفصح التقليدية التى تتلى معها حكاية الخلاص !

بث هاريل عيونه ، بالتعاون مع المخابرات العسكرية ، داخل وزارة الدفاع ، بعدما توالت التقارير والمكالمات الهاتفية التى تشير إلى إعتياد بيير دخول " الأرشيف " ليلاً ، ولوحظ إنتفاخ حقيبته الجلدية لدى خروجه من المبنى .. أثناء ذلك طلب من عميله الحصول على أمر بالتفتيش فى منزل اسرائيل بيير وإعتقاله . ينبغى أن يتم كل شيء بصورة قانونية أو ألا يحدث البتة .

وبعد أن وضع أيزر سماعة الهاتف رفعها على الفور مرة أخرى وإتصل ببن جوريون . لم تستغرق محادثتهما أكثر من عشر دقائق ، قال فيها أيسر : سألقي القبض على اسرائيل بيير هذه الليلة .
وتردد بن جوريون لحظة ثم قال : قم بواجبك .
وإنتهت المحادثة بذلك .

كانت الساعة تشير إلى منتصف الثالثة فى الصباح واسرائيل بيير جالس يقرأ فى مكتبه وحقيبة الأوراق ملقاه على المنضدة القريبة ، فى الموضع الذى تركها فيه بعد مغادرة زائره دون المساس بشيء من محتوياتها . وفجأة سمع طرقة على الباب .

وقبل أن يتمكن بيير من إخفاء الحقيبة ، أو حتى النهوض من كرسيه العتيق ، إنكسر الباب وكانت ضربة وحيدة كافية لخلعه من مفصلاته .

وإندفع صف من سبعة رجال فى داخل الشقة ، ووقفوا من حول بيير الذى كان يجلس منتصباً متجمداً فى كرسيه ، وقال له أحدهم بهدوء :
إنك معتقل الآن ، ولدينا أمر بتفتيش الشقة .

وشاهد بيير الضابط يوجه بصره إلى حقيبته ، وأجاب بهدوء بتلك الكلمات التى تفوه بها بن جوريون قبل ساعات فى المكالمة الهاتفية مع هرئيل : قم بواجبك !

وكان بيير يعلم حق العلم من هو ضابط الإستخبارات المضادة الذى تحدث إليه ، فقد كان يعرف إسمه الشخصى منذ عدة سنوات ، ولم يزد على أن قال : هل تمانع فى أن أدخن ؟.

كان ضابط الموساد المسؤول عن إعتقال بيير يعلم أنه يتعامل مع رجل من أبرز رجالات الدولة ، فقد كان بيير محاضراً فى مدرسة الجيش التى تدرب فيها الضابط ، وكان كولونيلاً فى الإحتياط ومستشاراً لوزراة الدفاع ورئيس الوزراء نفسه ، وقد أحس الحاضرون بالصدمة جميعاً ، إذ لم يكن العملاء يصدقون أن الرجل الذى قدموا لإعتقاله يبلغ به الإستهتار إلى هذا الحد .. وهل يمكن أن يكون جاسوساً للمصريين .. ألا يمكن أن يكونوا مخطئين فى شأنه ؟ لقد كانوا يتمنون ذلك ..

بيد أن شكوكهم ، مهما كان أمرها ، سرعان ما تبددت عندما فتح الضابط حقيبة الجلد التى كانت ما تزال ملقاة على المنضدة القريبة من بيير . وفى داخل الحقيبة شاهد الضابط عدداً من الوثائق البالغة السرية ومنها قائمة مفصلة لمصانع الأسلحة الكبرى فى إسرائيل ، ووثائق كانت تحتوى على عدد من أسرار الدولة التى

كان وزراء الحكومة يجهلون بعضاً منها ، علق رئيس الوزراء على ذلك متبرماً : كنت غارقاً فى محيط من الأكاذيب . ومن الواضح الجلى أن الحادث كان أليم الوقع على نفسه . وقد أحجم أيزر عن الإشارة إلى أنه أعرب عن أرتيابه من بيير فى وقت مبكر يعود إلى ١٩٥٣ ، ومن الأمور التى تسجل له ولموشي ديان أن كلاهما قد قاوم رغبة بيير فى الإلتحاق بالجيش وأن بيير قد إتكأ على صداقته مع بن جوريون فى مقابل ذلك ليتم تعيينه مستشاراً رسمياً فى وزارة الدفاع ليتسنى له الوصول إلى جميع الوثائق السرية !

فى أيام الإستجواب الأولى ، ظل يكرر تلك الصورة التى رسمها لسيرة حياته أمام أصدقائه وزملائه عدة سنوات .

وفى ذلك اليوم الرابع من بدء الإستجواب ، زاره أيزر هاريل وكان هذا يعلم أن الأسير لا يبدى أى تعاون من جانبه ، فدبر شيئاً ما لمواجهته .

وحدق هاريل إلى عينى بيير ، كما فعل فى لقائهما الأول ، قبل عدة أشهر ، وقال له فى نبرة هادئة ، وعنيدة فى الوقت نفسه : أنا أعرف أنك جاسوس سوفياتى ، أخبرنى الحقيقة ، إذا تعاونت معنا فسوف تسهل الأمر على الجميع ، وعلى نفسك أيضاً . أخبرنى حكايتك الحقيقية .

وفى مواجهة هذا التحدى ، أعاد بيير القصة ذاتها مرة أخرى حتى إذا فرغ منها قال له هاريل بهدوء : "كذاب " .

" ولم نجد أي أثر لوالديك فى النمسا ، ولو كانا يهوديين نموذجيين ، كما تدعى ، فلماذا لا تكون مختوناً ؟ " .

" لقد فحصنا جميع السجلات النمساوية ، فتوصلنا إلى أنك لم تقاتل فى متاريس الشوارع ، ولم تحصل على شهادة الدكتوراة كما تدعى ، بل إنك لم تدرس فى الجامعة ، ثم إنك لم تذهب إلى الأكاديمية العسكرية ، فقد كان هذا محظوراً على اليهود آنذاك . وقد طلبنا دراسة قوائم الأسماء فلم يعثر على اسمك فيها ، وليس اسمك موجوداً فى قوائم الشوتسباند كذلك .

" ونقبنا فى سجلات الجيش الأسبانى ولم نعثر على اسمك فيه ، إنك لم تحارب قط فى أسبانيا ، والواقع أنك لم تساهم فى أية حملة عسكرية فى أى مكان من العالم " .

" والآن قل لى : من أنت ؟ أخبرنا الحقيقة " .

وإتضح لبيير أن الموساد قد عرى زيف إدعاءاته ، فإنهار ، وفى الأيام الثلاثة التالية أملى تقريراً وافياً بنشاطاته التجسسية .

وكان هاريل قد إشتبه فى أن القاهرة قد . نشطت . بيير عقب حملة السويس فى عام ١٩٥٦ ، وألحت عليه منذئذٍ فى تقديم أية معلومات يمكنه الحصول عليها ، وعندما كانت فرنسا تزود اسرائيل بالأسلحة نقل بيير تفصيلات كمية ونوعية ما يصل إلى اسرائيل منها ، وكذلك فعل بصدد الأسلحة التى إشترتها اسرائيل من ألمانيا ، كما أنه جمع ما إستطاع من المعلومات عن دور ألمانيا فى حلف الأطلسى . الناتو . فى أثناء سفره إلى ألمانيا . وكانت أبحاث بيير العلمية الخاصة ، فى التكنولوجيا النووية خصوصاً ، أحد الموضوعات التى يحتمل أن يكون ضباط المخابرات المصرية قد طالبوه بتقديم معلومات عنها .

وبقى بيير يمزج الحقيقة والوهم ، حتى فى أثناء بوحه بإعترافاته ، فقام عملاء الموساد وحلفاؤهم فى اسرائيل وأوروبا ، ومها البلدان الشيوعية بالتحقق من كل كلمة تفوه بها ، وأثبت البحث الدؤوب الذى قاموا به بطلان الكثير من إدعاءاته .

تم الإعلان عن القضية فى ١٦ إبريل وبدأت محاكمة بيير فى يونيو ١٩٦١ وأدت طبيعة الكثير من الأدلة فى قضيته إلى بقائها سراً ، وكذلك بقيت بعض إعترافاته سراً مكتوباً حتى يومنا هذا ، ومن المعلوم على كل حال ، أنه وعن طريق نقل ديانا ذهابى نقل للمصريين خططاً عسكرية تتصل بتكتيك القتال ، كما نقل قوائم عن منشآت عسكرية سرية ، فضلاً عن معلومات حول من يزودون إسرائيل بالأسلحة من الغرب .

وفى أثناء المحاكمة ، دافع بيير عن نفسه بأنه فعل ما فعله لإعتبارات وطنية ، وقال :

– لقد شعرت بأن من واجبى المساهمة فى إنقاذ إسرائيل من الوقوع فى قبضة القوى الغربية .

– وأعتقد أن على إسرائيل التحالف مع البلدان الشيوعية ، وأنا لم أخن إسرائيل قط وإنما كانت جميع جهودى رامية إلى إبعادها عن الطريق المؤدى بها إلى كارثة سياسية !

فى ١٤ يناير ١٩٦٢ ، أصدر رئيس المحكمة العسكرية " ماكس كينيث " حكما بسجن بيير ١٠ سنوات بعد إدانته بتهمة التجسس ، ومنع من الإدلاء بأية تصريحات صحفية قد تمس أمن إسرائيل .. وتبارت الصحف الإسرئيلية فى عرض القضية التى أثارت الرأى العام فى إسرائيل .. وإستأنف بيير الحكم أمام المحكمة العليا ، التى رفضت الإستئناف فى ٢٨ نوفمبر ١٩٦٢ وقضت بسجنه ١٥ عاماً ، فى السجن أتم كتابه " إسرائيل .. أمس واليوم والغد " وتوفى إثر نوبة قلبية فى ١ مايو ١٩٦٦ .



لم يكن عظيما كهؤلاء الذين سبقوه ، ولم يترك فى عالم الجاسوسية خطا بارزا يستحق به أن يخلد ، ولكنه كان جرس تحذير رهيب للمخابرات الإسرائيلية ، هاجم كل النظريات التى كانت سائدة قبله فى مكاتبها ، وجعلهم يعيدون تقدير موقفهم

بعد أن أفاقوا من الدهشة ، وإن بقيت دعاواهم الزائفة عن حائط الأمن تتردد بشكل علني كنوع من الدعاية فى بعض الأحيان ، وكإغراق فى أحلام اليقظة أحياناً كثيرة .

إنه " الكسندر بولين " الذى لم يكن إسرائيليا فحسب ولم يكن يهوديا فقط ، ولكنه كان ضابطا له تاريخ حافل فى حروب إسرائيل ، وكان أيضاً موجها سياسيا فى وحدة البالماخ التى إنتمى إليها . ولعل صفاته هذه هى السبب فى أن الإسرائيلين لاذوا بالصمت فترة طويلة فقد كان مختلفا تمام الإختلاف ، هادىء الطبع رقيق الحاشية . لا يدخن ولا يقرب الخمر ، شديد النفور من الحسناوات ، ربما لأنه يهودى متعصب يؤمن بدينه ، فرغم أنه كان شابا فى العقد الثالث من عمره ، إلا أنه كان دائم التردد على المعابد . وقد زار حائط المبكى مرات عديدة ، وهناك كانت تمنعه رجولته الصلبة وتاريخه العسكرى المشرف والعريض من أن يذرف الدموع ، ولكنه كان يشعر بخشوع طاغ أمام أى شيء يرتبط بالسماء حتى لو كان زائفا .

ولقد إشتهر الكسندر فى أوساط الجيش الإسرائيلى باسم " بوليتراك " وهى كلمة مشتقة من طبيعة عمله ، فى قطاع التوعية السياسية ، ومن الحقائق الثابتة فى وثائق الجيش أنه كان ضابطا مثقفا ذا مقدرة هائلة على التأثير فى نفوس سامعيه ، وكانت ندواته تحوز رضا القادة ، وكثيرا ما حضر بن جوريون وإيجال آلون ، كمستمعين فى المحاضرات التى كان ينظمها للضباط ، والتقطت له صور تذكارية مع أغلب الرؤساء فى إسرائيل . ولو أن أحد المخالطين لألكسندر سئل عن مثله الأعلى لكان ذلك الرجل بالتأكيد ، فمن أول رئيس الحكومة حق عامل النظافة فى الحى الجديد من مدينة بئر سبع القديمة ، كان الكل يكن الإعجاب لذلك الضابط الجاد المهذب ، الذى يتدفق بالحماس . ولم يكن أحد يتصور بالطبع أنه ليس سوى جاسوس داهية من جواسيس القاهرة.

كان مقيماً فى بئر سبع ، وكان بيته الأنيق المكون من طابق واحد يطل على الطريق المؤدى إلى ميناء إيلات فى أقصى الجنوب ، ولدرايته بالأمور العسكرية كان رقيباً رائعاً ويقظاً وعيناً مفتوحة على الباب الشمالى لصحراء النقب ، وأصبح جديراً باللقب الذى أطلقه عليه جهاز المخابرات العامة المصرى : عين النقب ، والمذهل أن هذا اللقب نفسه استخدم كوسيله للتعارف بين الكسندر وبين بعض الرسل الذين أوفدوا إليه من القاهرة إبان فترة نشاطه .

بدأت القصة فى شتاء سنة ١٩٥٥ ، وكان الكسندر قد قام بجولة فى القارة الأوروبية بقصد السياحة ، وانتهى به المطاف فى مدينة زيورخ .

وهناك وسط طبيعة قاسية ولكنها محببة عكف على القراءة فى فندق بسيط يشرف على الطرف الشمالى للمدينة ، واتخذ لنفسه نظاماً دقيقاً فكان يصحو فى الصباح الباكر ، ويتناول إفطارة فى غرفته ثم يهبط إلى البهو ويلقى تحية الصباح إلى صاحبة الفندق ، وعلى الدرج الأمامى يقف لحظة ويملأ رئتية بالهواء ، وفى النهاية يحرك عصاه ايذانا ببدء جولة على الأقدام كانت تستغرق ساعتين بالضبط.

كان النزلاء قلة ، وكانت معظم الغرف خالية ، وكان الكسندر يثير الفضول وهو عائد قبل الظهر ليحتسى قهوته فى البهو ، وبعد أن يفرغ من القهوة كان يخرج كتاباً من جيب معطفه ثم ينهمك فى القراءة ، ولم يكن يرفع رأسه عن الكتاب إلا فى وقت الغداء ، وكان يتخير مكاناً بعيداً عن طرف المائدة ويبتلع طعامة دون أن يرفع عينيه عن طبقه ، وفى المساء كان الرجل يجلس إلى جوار المدفأة وكتابه يخفى وجهه . وفى بعض الأحيان كان يطلب كوباً من الشاى ، ولم يكن يغادر مكانه إلا ليتناول عشاءه ، ثم يمضى السهرة فى البهو ، وعندما يصعد إلى غرفته كان يترك النور مضاءً حتى ساعة متأخرة من الليل .

كان سلوكه عادياً لا غبار عليه ، ولكنه قدم على تصرف يتسم بالغرابة ، فذات ليلة عاصفة من ليالى يناير ، فوجئت صاحبة الفندق بالكسندر مرتدياً معطفه وقد رفع ياقته حول أسفل وجهه ، وكانت الأرملة السويسرية الطيبة تعد طعام العشاء لنزلائها عندما مر بها فى طريقه إلى الطابق الأول ؛ ولم تخف دهشتها لأن هذا النزيل الغريب يغادر الفندق فى طقس غير ملائم . وعندما جلست إلى المائدة هتفت : إننى أشفق على مسيو بولين . فقد خرج دون أن يحدد وجهته . وما أن فرغت من طعامها حتى بدأت الأمطار فى التدفق كالسيل .

وفى الصباح شوهد الكسندر على مائدة الإفطار وكان وجهه شاحبا وإكتفى بقطعة من الكعك وقدحا من القهوة ثم هبط إلى البهو . وقبل أن يبدأ جولته اليومية اتجه إلى التليفون وبعد أن رفع السماعة تلفت حوله بهدوء ثم وضعها فى مكانها . وكان جليا أن يفكر فى الإتصال بإنسان ما ، ثم تراجع . وأخيرا لوح بعصاه ومضى إلى الطريق .

وفى اليوم التالى إتصلت إمرأة بالفندق مستفسرة عن الكسندر وكان هو فى غرفته ولم تدم المحادثة أكثر من ثوان قليلة لم ينطق خلالها إلا بكلمتى نعم ولا. ولم يكن يتحدث الفرنسية . وبعد ربع ساعة طلب عربة تاكسى بالتليفون وعندما هبط الدرج كان يرتدى معطفه وقد دس إحدى يديه فى جيبه . أما اليد الأخرى فكانت تقبض على حقيبة كتبه . ويبدو أنه كان فى عجلة من أمره .

قضى الضابط الشاب أسبوعا بعد ذلك على نفس النهج المعتاد ولكنه كان مكتئبا . ولاحظ النزلاء أنه أصبح أقل شهية للطعام . كما أنه يلازم غرفته وقتا طويلا . وفجأة إتصلت إمرأة بالفندق مستفسرة عنه . وبعد أن تبادل معها حديثا مقتضبا

أسرع إلى الخارج وهو بادى المرح . الأمر الذى أكد للجميع أن فى حياته قصة حب عميقة لا يود أن يفصح عنها لأحد . وتأكدت الظنون عندما عاد بعد ساعة وهو يصفر بفمه أغنية روسية دارجة . ولاحظت صاحبة الفندق أن العربة التى أقلته لم تتوقف بعد أن هبط منها . مما دفعها إلى الإعتقاد بأنه لم يعد فى عربة تاكسى .

وطوال الأيام الأربعة التالية كان الكسندر يبدو فى أوج مرحه فكان يكثر من الحديث إلى النزلاء ، وشوهد وهو يتبادل حديثا ضاحكا مع مضيفته . ولكن الأمور تبدلت بشدة بعد أن قام بإحدى جولاته الغامضة ذات مساء . إذ عاد إلى إكتئابه وإكتست ملامحه بقناع من الوجوم ، وقد قضى يوما بأكمله متقوقعا فى غرفته ورفض أن يتناول شيئا من الطعام . وعندما سألته صاحبة الفندق عما إذا كان فى حاجة إلى طبيب تمتم ببضع كلمات وأشاح بوجهه بعيدا وهو بادى الحزن.

وتوجت تلك الفترة الشديدة الغموض من حياة الكسندر بزيارة غامضة أخرى ولكنه لم يقم بها هذه المرة ، إذ وفد إلى الفندق زائر غريب ذو ملامح مبهمة وقامة متينة يضع على عينيه نظارة قاتمة السواد ، وكان الكسندر قابعا فى البهو وفى يده كتابه المعتاد ، ويبدو أنه كان يترقب وصول إنسان ما ، فبمجرد أن دلف الغريب من باب الفندق هب هو واقفاً ، وبعد أن تصافحا صحب ضيفه إلى غرفته وهناك قضيا ساعة كاملة هبطا بعدها إلى البهو . كان الكسندر يتحدث بصوت عال وهو يلاحق خطوات ضيفه ، وعند الدرج ودعه بحرارة ثم عاد إلى التليفون ، وطلب تذكرة طائرة إلى أثينا .

وفى أثينا إختفى الكسندر بولين بصفة مؤقتة من الوجود ، إذ نزل فى أحد الفنادق باسم بيتر فريتز ، وبعد أسبوع قضاه فى حالة بطالة كاملة تقدم بجواز سفر جديد إلى شركة الطيران المصرية وحجز مقعدا إلى القاهرة . وعندما وصل بيتر فريتز

إلى مطار القاهرة وجد فى إنتظاره إثنين من الرجال وعربة سوداء. وفى تلك الليلة كانت غرفة عالية فى مبنى المخابرات العامة المصرية ترسل ضوءاً من وراء ستار النوافذ المسدلة ، وليس بإمكان أحد أن يتنبأ بالحديث الذى دار داخل جدران هذه الغرفة بين ضابط الجيش الإسرائيلى ومدير المخابرات العامة المصرية نفسه ، ولكن المؤكد أن الكسندر بولين قد أصبح أشد إخلاصاً لعمله الجديد من وطنه الذى حارب من أجله : إسرائيل .

ولقد عرف فيما بعد أن الكسندر بعد أن قاسى الحرب وويلاتها وبعد أن شاهد زملاءه وهم يتساقطون فى الميدان واحداً بعد الآخر ، إنتابته حالة من السخط العام . وكان سخطه راجعاً إلى ما تمخضت عنه حروب إسرائيل من نتائج ، فقد أقيمت الدولة وأصبحت لها حكومة . ولكن طبقة من الأدعياء والمزورين والإنتهازيين إستغلت هؤلاء الذين قتلوا وقفزت إلى قمة السلطة ، وكان هو صادقا عندما قال " لقد كرهت الحرب ، إنها عملية تجارية بحتة ، لقد باعوا دماء الشباب اليهودى لصالح تجار المفرقعات والصلب " وعرف أيضاً ً أن الكسندر لجأ إلى المخابرات السوفيتية وتمكن من الإتصال بأحد مندوبيها فى سويسرا ، وشرح له إقتناعه بضرورة إنهاء حالة الحرب بين إسرائيل وجاراتها ، وعرض أن يعمل فى خدمة السلام ، ولكن الضابط السوفيتى طبقا لرواية الكسندر نفسه " لم يكن متفقا معى حول مفهوم السلام الذى يعنيه كل واحد منا .. وإنتهت الجلسة دون إتفاق " وكان هذا هو السر فى الإكتئاب الذى إعتراه عندما عاد إلى ذلك الفندق فى زيورخ ذات ليلة .

وإزاء تلك الخيبة التى منى بها ، مضى الكسندر خطوة أخرى ولكن فى الإتجاة المضاد ، إذ إتصل بالمخابرات الأمريكية ، وكان الأميريكيون أكثر سخاء فى الشكليات وحدها ، فقد أوصلوه إلى فندقه بإحدى عرباتهم ووعدوه ببحث المسألة

والإتصال به فى أقرب فرصة ، ثم إتصلت به إحدى عميلاتهم وحددت له موعدا عاجلا ، وفى هذا الموعد صدم الكسندر صدمة رهيبة لأن الأمريكيين أيضاً أبلغوه بأن لديهم كل ما يريدونه عن إسرائيل ، وفى وقت لاحق قال الكسندر " لقد كانوا مهذبين معى إلى أقصى حد ، وكان رجلهم الذى تحدثت معه رقيقا إلى أقصى حد ، ولكنى قاومت إحساسا خفيا بأنه يود أن يقول لى إذهب إلى الجحيم".

ولم يبق أمام موجة البالماخ السياسى سوى أعدائه الذين حاربهم من قبل ، ولست أعرف كيف إتصلوا به ، والأرجح أن الكسندر كان تحت رقابة فراز إستغل حالته المعنوية ثم رشحه للعمل ، ولكن الحياة إكتست لونا مشرقا مع المصريين فقد إستمع مندوبهم إليه ، ثم سأله بإقتضاب : هل معك ما يكفى من النقود ، وأجاب الكسندر بأنه لم يفكر فى مسألة النقود هذه بصفة جدية ، ولكن الضابط المصرى أخبره أنه سوف يقوم برحلة تغطية إلى أثينا ، وأنه سوف يدفع له كل النفقات . وبالفعل أرسل إليه الزائر الغامض الذى سلمه جواز سفر باسم بيتر فريتز ورزمة من أوراق النقد الجديدة وأمراً مختصراً بالإقلاع إلى أثينا.

كان المصريون على عاداتهم حذرين لا يرفعون حواجز الكلفة بينهم وبين الغرباء بسرعة ، فى أصواتهم نبرة ورثوها عن الأجداد ، ولكنهم رغم كل شيء بسطاء يتميزون بالذكاء ، لا ينتظرون من الطرف الآخر أن يريق ماء وجهه، وفى نفس الوقت كانوا ملهوفين يترقبون رجلا مثل الكسندر لكى ينفذوا من خلاله إلى قلب عدوهم . وكان من الضرورى أن يحملوا الكسندر إلى القاهرة ، لكى يفرغ ما فى جعبته من معلومات هامة وليتلقى أوامره من الرؤساء مباشرة ، وفى مبنى المخابرات العامة فى القاهرة تأكدت حقيقة الكسندر منذ أول وهلة ، كرجل ساخط على قيادته السياسية ، معادٍ للحروب ، وقد عرضت عليه مجموعة هائلة من الأفلام والصور وشاهد عرضاً بـ" البروجكتور " لبعض فرق الجيش الإسرائيلى . وقيل له ، أن لدينا

كما ضخما من المعلومات عنكم . ولكننا نرغب فى إقامة شبكة من أنصار السلام هناك ، ولعلكم تنجحون فى تجنيب شعبكم ويلات الحرب .

وعلى سبيل الترحيب والمودة ، دعى الضابط الإسرائيلى الشاب إلى الإفطار مع مجموعة من ضباط المخابرات الشبان ، وكان يجلس إلى صدر المائدة أحد الضباط الكبار ، وأثناء تناول الشاى قال ضابط كان يحتل المقعد المجاور لالكسندر وهو يملأ له قدحه ، لقد حاربناكم مرة ، كم قتلنا منكم ، وكم سوف نقتل فى المرات القامة ، وإلى متى ستتحملون ؟ لقد عانيتم من الإضطهاد والتشرد والإذلال ، ولكنكم أخطأتم الطريق لأنكم سوف تواجهون ما هو أسوأ من ذلك كله ، إن جيشنا يقوى مخالبه بعد كل جولة ، ومخابراتنا أقوى من أن يقاومها أحد.

ولم يكن من اللائق أن يأتى الكسندر إلى القاهرة دون أن يطوف بمعالمها السياحية ، لذلك صاحبه أحد الضباط فى جولة زار خلالها متحف الآثار وقلعة صلاح الدين ، وفى النهاية وقف خاشعا أمام أهرامات الجيزة الشامخة ، وهناك قال بصوت هامس " أعتقد أن لهذا البناء الفريد حكمة واحدة ، لقد أراد أجدادكم أن يقيموا لكم نصباً خالداً يذكركم كلما أظلم الأفق من حولكم ، بأنكم كنتم سادة هذا العالم ذات يوم " .

ومع المآدب والجولات الترفيهية وكل علامات الود تلقى الكسندر تدريباً جيداً وتسلم جهازاً دقيقاً للإتصال اللاسلكى وكاميرا صغيرة لتصوير الوثائق ، ووسائل الكتابة السرية ، وقيل له بوضوح أن المعلومات ليست هدفنا بالدرجة الأولى ، لأننا نريد المعلومات لكى نحول دون نشوب الحرب ، وعليك أن تحافظ على سلامتك ونأمل أن يتزايد عدد أمثالك فى جيش إسرائيل لكى يصبح فى مقدورنا أن

نناقش الأمور بهدوء وبغير تعصب أو إنفعال . وهكذا كان الكسندر بولين هو أول ضابط إسرائيلى محارب يسعى بنفسه وبإقتناع لعقد إتفاق سلام مع المصريين .

وبعد أربعة أسابيع فى القاهرة ، غادر بيتر فريتز بجواز سفره الجديد مطار القاهرة متجهاً إلى أثينا ، وهناك فى العاصمة اليونانية القديمة عاد الكسندر بولين إلى الظهور مرة أخرى ، وإختفى بيتر نهائياً . ومن أثينا ، رحل الكسندر إلى إسرائيل ، وعندما وصل إلى بيته فى بئر سبع ، أرسل أول برقية لاسلكية إلى رؤسائه الجدد ، وبعد هذه البرقية أصبح لجهاز المخابرات العامة المصرى جاسوس على دراية واسعة بالشئون والمعدات العسكرية فى صحراء النقب الجنوبية .

وكانت فائدة " عين النقب " ترجع إلى وجوده فى مفترق الطرق بين إسرائيل وسيناء ، وكانت كل التحركات العسكرية الإسرائيلية فى إتجاه إيلات تصل إلى القاهرة قبل أن تصل الوحدات العسكرية نفسها إلى ذلك الميناء ، وكان الكسندر مخلصاً ومتحمساً ، وبإستثناء دفعة النقود التى تسلمها فى زيوريخ لم تدفع القاهرة بنساً واحداً ً ثمناً لمعلوماته ، فقد كان يتحرك بدافع مبادئه .

ونجح الكسندر فى نشر دعوى السلام بين رفاقه ، وأعتقد أن الشبكة التى ضبطت مؤخراً فى كيبوتز جان شموئيل والتى كان يتزعمها أربعة من ضباط المظلات الإسرائيلين بتهمة التجسس لحساب القاهرة ليست سوى محصلة تيار دعاوى السلام الذى بدأ يتدفق بمساعدة الكسندر بولين ، ولكنه أخطأ خطأ فادحاً عندما حاول إقناع عريف إسرائيلى يدعى " شالوم " بالعمل معه ، والمؤسف أن شالوم معناها سلام . وكان شالوم هذا أحد أفراد المخابرات الإسرائيلية فى بئر سبع .

ويبدو أن المخابرات الإسرائيلية قد تشممت رائحة غريبة عندما أبلغها شالوم بالحديث الذى دار بينه وبين الكسندر لأنها أمرت عميلها بأن يقترب لمسافة أكثر من الضابط المتحمس . وأرسل الكسندر برقية إلى القاهرة ينبئها بأنه نجح فى تجنيد " عريف " فى الجيش الإسرائيلى يعمل فى سلاح الإشارة ، ودهش المصريون بشدة لهذه البرقية لأنهم لم يكلفوه بتجنيد أحد لحسابهم ، ولاشك أن هناك فارقاً كبيراً بين إقامة شبكة من أنصار السلام وبين تجنيد الجواسيس .

وأبرقت القاهرة إلى عميلها تطلب منه أن يتخلص بسرعة من هذا الشخص ، ولكن الكسندر كان واثقاً بنفسه فرد بأنه يثق تماماً فى شالوم وأنه سوف يحصل عن طريقه على كل الإتصالات العسكرية الإسرائيلية فى النقب ، والأسوأ من ذلك كله أنه صارحه بأنه يعمل لحساب القاهرة ، وأن شالوم وافق هو الآخر على القيام بالتجسس .

وأسرعت المخابرات العامة المصرية بإيفاد أحد عملائها إلى بئر سبع متخفياً تحت ثوب تاجر دراجات فرنسى . وفى بيت الكسندر أتخذ الحديث مساراً ملتهباً ، إذ راح الكسندر ينفى شكوك المخابرات العامة المصرية التى لا تستند إلى أساس ، وكان واضحاً أن العريف الذكى قد تمكن من كسب ثقته .

وفى النهاية سأل تاجر الدراجات مضيفه سؤالاً طلب إجابة صريحة عليه ، وهو: ألم تلاحظ عربة الكشف اللاسلكية بالقرب من منزلك ؟ ولكن الكسندر اعتراه الإرتباك لحظة أجاب بأنه شاهد عربة يبدو أنها مخصصة لهذا النوع من العمل تطوف بالقرب من البيت ، ثم هز كتفيه بإستهتار وهتف : أنهم يتجولون ليل نهار فى كل شارع ولكنهم لا يقصدون هدفاً معيناً ، مجرد إجراء روتينى .

وأمام هذا الإصرار طلبت القاهرة من الكسندر أن يكف عن مباشرة نشاطه إلى أن تصله أوامر جديدة . وأنقضت ثلاثة أشهر من الهدوء . ثم عاود الكسندر الدق على جهاز الإرسال مستعلماً عن الأوامر الجديدة ، وقيل له ببساطة أن هذه الأوامر سوف تصله فى الوقت المناسب ورغم ذلك انتهز فرصة فتح الإتصال وراح يرسل المعلومات وبعد أن فرغ من مهمته قيل له بأدب أن يمتنع عن إجراء أى إتصال لاسلكى إلى أجل غير مسمى .

ويبدو أن الإسرائيلين أدركوا ما يجرى حولهم ، لأنهم سلموا شالوم مجموعة من الوثائق ، أوامر عمليات ونماذج صرف مهمات وذخيرة وبعض نشرات التنقلات العسكرية ، وأسرع شالوم بالصيد الثمين إلى سيده الذى تناول الجرعة الخادعة بسعادة ، وعكف على تصويرها ، أرسل الصور إلى العنوان الذى كان محدداً للتراسل مس اكسلى هورن – هل جيت – ١٠٠ – ، لندن ، ويترك الإسرائيليون الرسالة لتمضى فى طريها المرسوم دون إعراض .

ولكن قبل أن تصل هذه الرسالة إلى أيدى المصريين كانوا قد أسقطوا هذا العميل من حسابهم .

والمذهل أن الكسندر تمكن بعد ذلك من مغادرة إسرائيل ، ورغم أنه أخطر القاهرة قبل سفره بموعد السفر وعنوان الفندق الذى قرر النزول فيه فى أثينا إلا أنه قضى عشرة أيام دون أن يتصل به أحد ، ولو أن هذا الرجل كان ذكياً ، لاكتشف أن أحد عملاء المخابرات الإسرائيلية كان يتبعه كظله ، واتخذت اللعبة شكلاً مضحكاً فى شوارع أثينا إذ كان الكسندر يتحرك كقطة مغمضة العينين ووراءه عميل المخابرات الإسرائيلية يحصى عليه حركاتة وسكناته ، ووراء الإثنين أحد عملاء المخابرات العامة المصرية يراقب الإثنين .

وذات صباح إستيقظ الكسندر على رنين جرس التليفون وعندما رفع السماعة جاءه صوت يتحدث بالعبرية : " السيد الكسندر ، إرتد ثيابك بسرعة وأهبط إلى صالة الفندق وسوف تلتقطك عربة من أمام الباب " وتتابعت الحوادث بشكل رهيب بمجرد أن فرغ الكسندر من إرتداء ثيابه ، فقد دخل إلى الفندق إثنان من الرجال أشبه برجال البوليس وإقترب أحدهما من موظفة الإستقبال مستفسرا عما إذا كانت لديها غرفة خالية ، بينما أخذ الآخر يفحص القاعة بعينيه ويده فى جيب بنطلونة ، وفى تلك اللحظة ظهر الكسندر على أول الدرج ، وإنطلق مسرعاً إلى الشارع وفى أعقابه إندفع رجل أصلع أشبه بكيس جلدى يترجرج بالشحم ومد أحد الغريبين قدمه بين ساقى الأصلع فإنكفأ على وجهه وإنزلق مسافة مترين وهو على هذا الوضع المشين ، ولم تمنعه كلمات السباب ولا سترته التى تمزقت من تحت إبطيه ، من النهوض بأقصى سرعة ليلحق بالطريد ، ولكن الغريبين تشبثا به وأصرا على أن يقدما له أخلص آيات إعتذارهما، وعبر باب الفندق الزجاجى شاهد الأصلع الكسندر وهو يقفز إلى عربة مرقت بسرعة أمام الباب وعندئذ رفع عقيرته بالإحتجاج .

وفى العربة ـ وكانت صغيرة ألمانية الصنع ـ أبدى الكسندر ضيقه للطريقة التى إتبعت فى إختطافه ، ولكن السائق كان شاباً مهذباً فإكتفى بالإبتسام ، وعند بوابة بيت عتيق مبنى بالأحجار وتقوم حوله بضعة أشجار باسقة ، توقف السائق المهذب وأشار إلى الكسندر أن يهبط ، وما أن وطئت قدماه أرض الطريق حتى إنطلقت العربة وهى تزمجر بوحشية ، وعلى الفور فتح أحد الأشخاص باب البيت ودعا الكسندر أن يدخل ، وكان الشخص الذى فتح الباب يبدو متجهما ، وكان هناك كلب ضخم إلى جوار ساقه ، وكان على الكسندر أن يدخل فى هدوء .

وفى الطابق الثانى من هذا البيت الغامض وجد الكسندر ثلاثة ضباط فى إنتظاره وقد إحتل أكبرهم مقعداً عريضاً بجوار النافذة ، ودارت مناقشة عاصفة بين العميل السيء الحظ وبين رؤسائه ، وقيل له أن رجلاً كان يتبعه كظله منذ أن سافر من إسرائيل ، وقيل له أن ذلك الرجل كان مندفعا فى أعقابه عندما غادر الفندق وأن " رجالنا " إضطروا إلى اللجوء إلى أسلوب خشن نوعا ما لكى يعوقوه ولكن الكسندر بقى على عناده .

وفى النهاية نهض أكبر الضباط من مقعده وإقترب بشده من الكسندر ثم وضع يده على كتفه وعندما تحدث إليه كان صوته مشحونا بمشاعر الغضب والشفقة والعطف مختلطة كلها بعضها ببعض ، وطلب منه أن يسافر على الفور بجواز سفر مصرى أعد له مسبقاً ، إلى القاهرة ، حيث يستطيع أن يحل ضيفاً مدى الحياة على الشعب الذى قدم له خدماته .

جاسوس الشمبانيا !

عرفه عبده على

عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، تزايد الوجود الالمانى النازى فى مصر ، ممثلا فـــى عدد من العلماء وضباط الجستابو ورجـــال الفيلق الافريقي ممن عملوا تحت قيادة روميــــل ، حيث منحوا اللجوء السياسى ـ خاصة فى عهد عبد الناصر ـ وإنتحل معظمهم اسماء عربية ، بـــــل إن بعضهم إعتنق الاسلام إمعاناً فى إخفاء هويتهم ، فكان منهم العلماء الذين عملوا فى مجال تطوير صناعة الاسلحة فى مصر ، بينما تولى بعض ضباط الجستابو السابقين مسئولية إعادة تنظيم جهاز أمن الدولة .

وعندمـــا إكتشفت إسرائيل فـى بداية الستينات ، ان مصر قد تبنت مشروعاً طموحاً لصناعة وإنتاج صواريخ بعيدة المدى ، قادرة علـــى ضرب اهداف خارج حدودها ، قررت ان تحطمة دون اللجوء إلـــى حرب، فاقتصرت على التخريب من قلب المواقع المصرية التى انيط بها تصميم وتصنيع هــــذة الصواريخ ـ تحت إشراف وزارة الدفاع المصرية والاستخبارات العسكرية للقوات الجوية بالاستعانة بمجموعة مــــن هؤلاء العلماء والخبراء الالمان النازيين الذين عملوا فى بلادهم فى المجال نفسة .

ووضعت الاستخبارات الاسرائيلية خطـــة لتصفيتهم جسدياً قبل الشروع فـــى الانتاج ، بواسطة الطرود الملغومة المرسلة من الخارج ومن داخل مصر ايضاً، كمـــا تعقبت واغتالت اخرين فـــى أوربا !

و بدأت الإستخبارات الاسرائيلية بتنفيذ خطتها مـــع بداية عــــام ١٩٦٣ ، حيث استعانت بعميـــل استخبارت ألمانى سابق هو : " أوتواسمكورزينى " الذى تعاون مع جهاز " الموساد " عـــن طريق ضابط الاتصالات فـــى باريس أنذاك : اسحق يزرنتسكى " اسحق شامير " رئيس الحكومة الاسرائيلية الأسبـق ، الذى نجح فى تجنيد " فولفجانج لوتز " لإتمام هذة المهمه .

إشتهر " فولفجانج لوتز " بلقب " جاسوس الشمبانيا " لولعـه المذهل بالشمبانيا وغيرها مـن أوجه الترف .. ولد فى ألمانيا عام ١٩٢١ لأم يهودية وأب غير يهودى ، ورغم أنه لم يختن (ممـا ساعد ـ وفقاً لما ذكره ـ على التدليل على صدق روايته التى كان يتستر خلفها) ، كمـا عمل فيما بعد على إنقاذ حياته عندما اكتشف أمره ، إلا أنه كان يعتبر وفقاً للشريعة اليهودية يهودياً حيث يكتسب الطفل ـ طبقـاً لهذة الشريعة ـ ديانة أمه .

فى عام ١٩٣٣ هاجر لوتز إلى فلسطين مع أمه . و عند إندلاع الحرب العالمية الثانية التحق بالجيش البريطانى وأرسل الى مصر حيث اشترك بعد ذلك فى تهريب الأسلحة للهاجاناه .

تميز لوتز بطول قامته الجرمانى وشعره الأشقر ، مما أسهم فى إدعائه بأنه من النازيين الذين يمقتون اليهود . وقبيل وصوله القاهرة ، صدرت اليه التعليمات لإستخدام إسمه الشخصى ، كمـا استبقى شهادة ميلاده ووثائق هويته مع إزالة أصل أمه اليهودى منها ، ثم قضى فترة التدريب الشاق التى لابد منهـا لآى ملتحق بالموساد حتى لو كان يتمتع بخبرة سابقة فى عمليات التجسس ، ثم وصل إلى القاهرة مزوداً رسائل توصية أمكن الحصول عليها ، إذ أن رؤساء أجهزة الاستخبارات الغربية الذين تظاهروا بالحياد التام تجـاه اسرائيل ، كانوا ينظرون اليها كحليف سرى ينبغى مساعدته كلما أمكن ، وشكل غير رسمى وفـى أواخر الخمسينات تدفقت هذة المساعدات من قبل كل من وكالة الاستخبارات الأمريكية " CIA " و هيئـة الاستخبارات الألمانية الغربية ، التى قدم رئيسها الجنرال " جيهلين " كافة الضمانات والتسهيلات .

إتخذ لوترون هيئة رجل ثرى مهتم بالخيول ، واستغـل المبلغ الضخم مـن المال الذى زوده بـه الاسرائيليون فـى إنشاء مدرسة للفروسية ومزرعة للخيل فى ضاحية الزمالك وقد أمر بـأن " يستلقى " (Lie low) أو بتعبير أخر أن يبق " نائماً " (To act as sleeper) لمدة عام قبل البدء فـى أنشطته التجسسية .

أقام لوتز صداقات مع بعض العلماء الألمان العاملين بمؤسسات أبحاث الصواريخ والطيران ، كذلـك مع العديد من كبار الضباط فى الجيش المصرى كان على رأسهم اللواء يوسف على غراب رئيـس الشرطة العسكرية ! وبعض الشخصيات وثيقة الصلة بالرئيس عبد الناصر وبعد توطيد وصلاته فـى مصر ، سافر

" لوتز " الى أوربا لمقابلة رئيسة الاسرائيلى .

زعم لوتز أنه فى ٣ يونيو ١٩٦١ قابل شقراء فاتنة فى قطار ، فوقع فى حبها وتزوجها سريعاً وأقنع الاسرائيلين ـ رغم شكوكهم ـ بالسماح لها باصطحابه عند عودته إلى مصر ومع ذلك فهناك رواية أخرى تؤكد أن خبراء الموساد الاسرائيلى ـ عند تحديدهم لأفضل طرق التعمية ـ كانوا يعتقدون إعتقاداً جازماً أنه سوف يساعد لوتز ويضيف الى مصداقية هويته المزعومة أن يتخذ الزوجه الأوربية النموذجية إن استطاع ، لكن كانت هناك عقبة تتمثل فى وجود زوجة له بالفعل ، كانت ـ لسوء الحظ ـ نموذجاً شمال أوربى لكنها فتاة إسرائيلية نمطية أنجب منها طفلين ، ومع هذا فإن ترتيبات حذرة قد نفذت ، وحينما أشير إلى أن إجراءات معينة يجب أن تتخذ من أجل " شرف و أمن " إسرائيل ، فإن الزوجة الوطنية ذات الولاء قد وافقت أخيراً على الزيجة المقترحة ! ومن ثم وافق زوجها على أن " يتزوج " من الألمانية الشقراء التى كان إسمها " فالتراود نويمان " .

فى القاهرة قابل " لوتز " رجلاً يدعى " هينرويش بولتر " وزجتة " كارولين " كان دكتور بولتر أثرياً ألمانياً ورئيسا لبعثة من جامعة " ييل " مما جعله يقضى شهوراً طويلة فى صعيد مصر للبحث والتنقيب ، بينما كانت زوجته وطفلة الصغير يبقيان فى القاهرة فى فيلا تقع قرب مسكن " لوتز " وكانت الزوجة " كارولين " تزعم أنها نصف هولندية ونصف مجرية وتنفى وجود أى علاقة لها بألمانيا رغم أنها كانت تتحدث الألمانية بطلاقة !

وقد إرتاب فيها " لوتز " لأنها كانت تحاول دائماً الحصول على معلومات عن الصواريخ لأنها كانت ، إذا سكرت قليلاً ، تشرع فى التحدث بلغة " اليبديش " وقد حاولت أيضاً أن تقيم صداقة مع " مارليس كنوبفر " زوجة أحد خبراء الصواريخ الألمان القياديين والتحقت السيدة " بولتر " بنادى هليوبولس الرياضى ، الذى كان يبعد حوالى ساعة بالسيارة عن منزلها ، ذلك لأن السيدة " كنوبفر " كانت عضواً به ، لكنها السيدة " بولتر " لم تذهب مطلقاً إلى أى من النوادى القريبة من منزلها .

كان مكتب " كارل كنوبفر " يجاور منزله مباشرة ، ومن حجرة نومه كان يمكن للمرء أن يرى إحدى حجرات مكتبه حيث كان يحتفظ برسومات تفصيلية لتصميمات الصواريخ !

و قد أبقى " كنوبفر " دائما شيش حجرة نومه مغلقاً والباب مغلقاً بالمفتاح لكنه كان يترك المفتاح فى الكالون ! .. و ذات ليلة أسر كنوبفر الى لوتز أنه يعتقد أن " كارولين بولتر " جاسوسة إسرائيلية لأنها ، فى ذلك اليوم ، كانت قد قابلت زوجته فى النادى ، سألتها أن توصلها بالسيارة ، وقد تعلقت بالسيدة " كنوبفر " بطريقة لم تجد الأخيرة معها بداً من أن تدعوها للشراب ، وبينما كانت السيدة " كنوبفر " فى المطبخ تعطى بعض التعليمات للطاهى الخاص ، إختفت " كارولين بولتر " من غرفة الإستقبال تحيرت السيدة " كنوبفر " وذهبت للبحث عنها فوجدتها فى غرفة النوم ، الباب مفتوح والشيش مفتوح ، والأكثر من ذلك أنها كانت تلتقط صوراً فوتوغرافية من نافذة غرفة النوم . وقد إعتذرت متلعثمة بأنها كانت تبحث عن كرة طفلها وقال " كنوبفر " أنه سوف يبلغ الأمر للسلطات المصرية .

إنتهى " لوتز " إلى أن المرأة تعمل فى الغالب لصالح الإستخبارات الإسرائيلية ، وإلى أنه يجب أن يحول دون القبض عليها ، وهكذا أخبر " كنوبفر " متعللاً بأنه مادام لم يأخذ الفيلم من الكاميرا الخاصه لها فهو لا يملك دليلاً ومن ثم فإنه سيطلب ممن لهم صلات به فى جهاز الأمن المصرى وضعها تحت المراقبة إلى أن يتم التوصل إلى " حبل يكفى لشنقها " ! وافق " كنوبفر " ، وفى الصباح التالى بعث " لوتز " برساله لرؤساءه فى إسرائيل عبر جهاز إرسال لاسلكى كان يخبئة داخل " تواليت " حمام شقته ! قائلاً إنه من الواضح أن المرأه تعمل لصالح مؤسسة ما مقترحاً أنها إذا كانت تعمل لصالح الإستخبارات الإسرائيلية فيجب سحبها سريعاً !

فى ظهر اليوم التالى تلقت السيدة برقية من عمتها فى ألمانيا تقول أنها تعانى ألاماً قاسية نتيجة مرض خبيث ألم بها ، وترجوها أن تعود سريعاً لتراها قبل أن تفارق الحياة .

غادرت مصر بالفعل مع طفلها فى تلك الليلة ! وفى صباح اليوم التالى تلقى " لوتز " رسالة شكر من إسرائيل !

أخيراً تم ضبط " لوتز " وهو يقوم بإرسال معلوماته بعد أربعين يوماً فقط من اكتشاف الجاسوس المحترف " ايلى كوهين " فى سوريا !

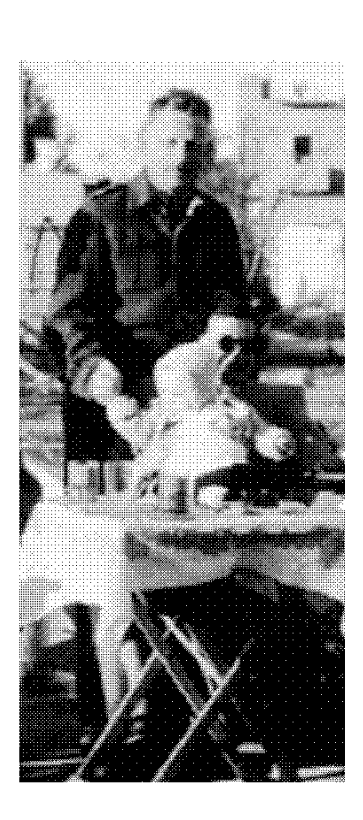
و قبض أيضاً على زوجة لوتز وبعض وثيقى الصلة بهم ، واستمرت المحكمة من ٢٧ يوليو حتى ٢١ أغسطس ١٩٦٥ نجح " لوتز " في الإفلات من عقوبة الإعدام بالإصرار على أنه ألمانى وليس إسرائيلياً . وقد حكم عليه بالسجن المؤبد وعلى زوجته بثلاث سنوات (عندما اطلق سراحهما ، عام ١٩٦٨ ، ذهبا إلى اسرائيل) . خلال المحاكمة تبين أنه كانت فى حوزته كمية من المتفجرات ، وقد أدين أيضاً بـ " التسبب فى الإضرار البدنى البالغ برعايا أجانب يخدمون حكومة الجمهورية العربية المتحدة " والشروع فى قتل رعايا أجانب يخدمون حكومة الجمهورية العربية المتحدة ومواطنين من الجمهورية العربية المتحدة بواسطة متفجرات خطرة " .

و خلال المحاكمة شرح " لوتز " أن ضابطاً قد " دس لى المتفجرات التى وجدت فى حوزتى ..." و شهد مدير مكتب بريد " بأنه قد فقد عينا حينما إنفجرت فى يده رسالة موجهه إلى أحد العلماء الألمان " ، ورغم أن الاستخبارات المصرية قد إستغرقت بعض الوقت لتتبع جهاز الإرسال للوصول الى " لوتز " فإن رسائلة كلها قد سجلت ، وبعض هذه الرسائل قرىء جهراً فى المحكمة : إحداها كانت الرسالة التى تنصح الاسرائيليين باستدعاء " كارولين بولتر " وأخرى يقول : لم تنفجر الرسالة التى بعثت إلى كرمير وإنفجرت رسالة أخرى فى مكتب بريد المعادى ، وكان لهذا أثر قوى على العلماء الألمان " .

و فى رسالة أخرى : " إنى واثق بأننا نستطيع أن نرغم المزيد من العلماء الألمان على الرحيل بإرسال المزيد من رسائل ..." فى البداية أصر " لوتز " على أن الرسائل الحاوية للمتفجرات كانت مجرد خطابات تهديد ، لكنه فى النهاية عندما تذكر أن رسالته التى يطلب فيها المزيد من المتفجرات قد ضبطت ، إعترف بأن بعض الرسائل ربما كانت تحوى متفجرات . وفى المحاكمة ذكر ممثل الإدعاء أيضا أن " لوتز " قد حل محل " جون ليون توماس " الجاسوس الاسرائيلى الذى اعدم : وقد ضبط فى الخامس من يونيو عام ١٩٦١ ووصل " لوتز" مصر بعد ذلك بيومين وأثناء وجوده بالسجن التقى " لوتز " بثلاثة جواسيس إسرائيليين أخرين كان محكوماً عليهم بالحبس ، وصار صديقاً مقرباً لهم ، وهم روبرت داسا

و " فيكتور ليفى " و " فيليب ناتانسون " كما إلتقت زوجته بـ " مارسيل نينيو " فـــى سجن النساء وهؤلاء الأربعة كانوا شبكة التجسس التـــى تولت حملة التخريب والإرهاب ضد وطنهم الأصلـــى مصر والتـــى إشتهرت باسم " فضيحة لافون " عام ١٩٥٤ .

و صدر الحكم بسجن لوتز مدى الحياة ، وثار جدل كبير فى إسرائيل حول مدى الاستفادة من مثل هذة العمليات الخاسرة وتكرار فشل مؤسسة " الموساد " فى قضية لافون غير أنه افرج عن لوتز مـــع روبرت داسا وليفى ناتانسون ومارسيل فى عام ١٩٦٨ ، عقب اتفاق بمبادلتهم بـ٥ آلاف أسير مصرى ، وقعوا فـــى الأسر خلال حرب يونيو ١٩٦٧





العميل 33 V
أو جاسوس القمة

عرفه عبده على

كانت تصريحات زعماء دولة الإرهاب و قادة " الموساد " و " الشاباك " تؤكد على إستحالة التغلغل داخل المجتمع الإسرائيلى ومؤسساته الأمنية ، وهذا التأكيد توازى مع مقولة : أن المواطن الإسرائيلى لا يقبل إطلاقاً بالتعاون مع أجهزة المخابرات المعادية – خاصة المخابرات المصرية – مهما كانت الدوافع !

ورجلنا – الإسرائيلى – فى تل أبيب .. يكاد يكون شخصية أسطورية .. مغامر بطبيعته .. إجتاز ببراعة أحد أبواب جهنم ، وخرج سالماً من الباب الآخر !.. وقد حاول قادة الموساد – كعادتهم – أن يسدلوا ستاراً كثيفاً من السرية حول شخصيته ، حتى لا تتزعزع الثقة فى " حائط الأمن الإسرائيلى " الذى روجوا له كثيراً .. لكنه كان فى حقيقته : جزءاً من صناعة الوهم !

كان ذلك فى عام **١٩٦٤** ، فى اليوم الأول من أغسطس ، وكانت الشمس قد أرتفعت إلى السماء والجو ينبئ بنهار حار ، وكان " آبد " يقف فى مزرعته بقامته الرياضية وملامحه التى تكشف عن ثقة خيالية بالنفس ، وفى مواجهته كان رجل بدين يقف بصلابة كقطعة من الجرانيت .

كان البدين رجلاً من طراز غريب ، فهو يتكلم العبرية ويزعم أنه يهودى ، ولم تكن المزرعة تفتقده مطلقاً ، كان يأتى فى البداية ليشترى الخضراوات والدواجن ، ولكنه تعود أن ينسى بعض حاجياتة دائماً ، وهو يحمل مظلة بصفة مستمرة ، كما يتأبط نسخة من التوراة كأنه ولد بها ، ولديه كسكيت يخلعها كلما كف عن الحركة ، وفى معظم الأحيان يخلفها وراءه ، ورغم هيئته " المزدحمة " كان عذب الحديث لا يستطيع المرء إلا أن يصادقه .

كان " آبد" يحب هذا البدين ، ولطالما تحدث معه وهما يقفان وراء مخزن الحبوب ، أثناء تجوالهما وسط أعشاش الدواجن ، وأيضاً وهما ينقلان خطواتهما بين ثمار الخرشوف ، ولكنهما فى ذلك الصباح المشمس من أغسطس كانا يقفان فى أقصى أطراف المزرعة حيث تقوم أنقاض مصنع بدائى لعصر الزيت ، وكما يحدث كثيراً فى هذا العالم ، حدث أن تلاقت وجهات نظرهما فى المسائل ، و فجاة همس البدين :

- لماذا لا تسافر الى فرنسا ؟

استغرق "آ بد " فى التفكير دون ان يجيب ، إنه بالفعل يحب فتاة فرنسية " جاكى " موظفة فى شركة إير فرانس ، وكانت الرسائل التى يتبادلها معها تكاد تكون يومية . ولكن البدين لم يكن يهتم كثيراً بالعواطف ، وعندما كان "آبد" يحدثه عن المشاعر التى تملك قلبه كان يتظاهر بالاهتمام ثم يدير الحديث ببراعة نحو " اهتماماتهما المشتركة " وفى النهاية و ضع يده الثقيلة على كتف " آبد "كأنة يستحثه على " الموافقة " ولم يكن الموقف يسمح بالتردد إذ كان على " آ بد " أن يقرر بلا أية مؤثرات ما إذا كان فى مقدوره أن ينتهج الجاسوسية بكل ما فى الجاسوسية من مشاق و مخاطر ، ولما أومأ " آبد" برأسه ابتسم البد ين ابتسامة صادقة . و بعد ذلك نشر مظلته فوق رأسه و مضى إلى الأفق .

وفى باريس إقترب دور البد ين من نهايته .

ففى الخامس و العشرين من أ غسطس انتظر " آ بد " على رأ س شارع (دى بينا) ومضى الرجلان معا إلى السفارة المصرية .

كان " آ بد " مبهورا و لكنه كان رابط الجأش ، وعندما عبر باب السفارة الخارجى رفع عينيه إلى القصر البرونزى الضخم ثم تحسس جيب سترته الداخلى ، فهناك كان يرقد جواز سفره ، وعليه شعار إسرائيل .

وفى الطابق الأول دخل الرجلان إلى غرفة متواضعة الأ ثاث ، وجلس " آبد " على مقعد خشبى بجوار النافذة الوحيدة فى هذة الغرفة ، كان يترقب بكل حواسه ما سوف يحدث ، وعندما دخل إلى الغرفة شاب طو يل القامة يرتدى حلة بيضاء وحذاء أسود انسحب البد ين بهدوء .

وكان على " آبد " أن يبدأ الحديث .

روى " آبد " قصة لقائة بالبدين ، وشرح المسائل التى تلاقت عندها وجهات نظرهما ، ولكن الشاب قال فجأة :

- دع هذه التفاصيل الآن .. أين جواز سفرك ؟

و أخرج " آبد " جواز سفره وألقاه بالقرب من أ صابعه ، فألقى عليه نظرة متعالية و كأنة عثر على أرنب عند جذع شجرة .

ـ لماذا لا تتحدث بلغة أكثر و ضوحا من الفرنسية .

- إني أتكلم العربية والانجليزية واعترف بأن فرنسيتي ضعيفة وأجيد العبرية طبعا .

- أنت في حاجة الي معاونة ؟

قال " آبد" في نفسه ، هؤلاء المصريون يكثرون من الأسئلة ، لماذا جئت إليكم إذن ، وتنهد بصوت مسموع ثم قال :

- نعم احتاج الي معاونة ، لقد تحدثت الي الأخ الذي جاء معي من مزرعتنا في " أيطن" وهي نقطة علي الخريطة بين حيفا وعكا والناصرة ، هل تعرف الطريق الرئيسي بين كفار آتا وكيبوتز ياجور ؟ أن ..

- أين تقيم في باريس ؟

- أقيم في نوبيه ، شارع دي شونو رقم " ١٢ " الدور الأرضي .

- حسن يجب أن نفترق الآن ، ليس من المعتاد أن يقضي الإسرائيليون الوقت في سفارتنا ، بالمناسبة اسمي عمرو .

- وهل هذا هو مكتبك ياسيدي ؟

- مكتبي ؟ .. لا .. لا ..

قال ذلك ونهض واقفا ، وبعد أن تصافح الرجلان خرج " آبد" إلي الطريق وهو يشعر بالارتياح.

وبعد أربعة أيام من هذه المقابلة المتسمة بالطرافه تسلم " آبد" رسالة قصيرة ولكنها غريبه ومكتوبة بخط ردئ .

وكانت جاكي قد عثرت علي الرسالة ذات صباح خلف الباب ، وعلي مائدة الإفطار فض " آبد " المظروف واطلع علي محتوياتها " انتظرني في تمام الخامسة بعد غد في مقهي باب مترو أفينو دي لاجراند آرمي المقابلة للشانزلزيه : عمرو " والتصقت قطعة زبد بحلق " آبد " عندما قرأ الكلمة الأخيرة ، فقد أدرك أن اللعبة بدأت .

وفي اليوم الأخير من أغسطس قدمه " عمرو " في هذا المقهي " للثعلب " وكان الثعلب ينتحل اسم " يوسف " كان ثعلبا حقيقيا يمد أنفه في كل اتجاه كأنه يتشمم رائحة الهواء . وكانت عيناه تلمعان ببريق أخاذ وسط ملامحه التي تنم عن البساطة والصراحة ، واصطحبه " الثعلب " بعد جولة قصيرة الي غرفة في فندق كلاريدج ، وهناك قدم له القهوة الساخنة ثم بدأ في توجيه بعض الأسئلة .

- آبد أرجو أن تتحدث بصراحة ، الصراحة مفيدة لكل منا ، هل تبحث عن المال ؟

- المال ؟ لم افكر في هذا الموضوع .

- حسنا .. ما هو موقفك المالي ؟

- المزرعة تدر دخلا كبيرا ً ، كذلك لدي بعض المدخرات .

ظهر الارتياح علي وجه الثعلب وملأ لنفسه قدحا من القهوة ثم قال :

- فهمت أنك ترغب في التعاون معنا ، إذا كنت ترغب في ذلك حقا فإن الأمور سوف تتقدم الي الأحسن ، هل لديك ما تخفيه

- ماذا تعني ؟

- أعني .. هل سبق أن ارتكبت عملا سيئا ؟

- لا

- كالسطو مثلا ؟

- أبداً .

- هذه الإجابات تهمني جداً ، يجب أن نكون واضحين ، أ تشترك في .. أقصد في مشاجرة ؟

- أحياناً . أحياناً أجد أنني مضطر للدفاع عن نفسي .

- عظيم ، وماذا بشأن النساء ؟

- في الوقت الحالي ليس هناك سوي جاكي .

- آه .. أعرف ذلك ، ولكني أعني العلاقات الأخري .

- حسنا .. يبدو أنك تود أن تعرف كل شئ ، ثمة علاقات عابرة و بعض العلاقات القصيرة ، ولكني اعتزم الزواج من جاكي .

- هل لديك هوايات أخري ؟

قال ذلك وهو يبتسم بخبث .

- أحياناً أشرب ، أحب الشراب الجيد لا أكثر .

- لقد تسلمت بعض التقارير بخصوصك ، هل كونت فكره عن المستقبل ، بمعني أوضح هل لديك خطط معينة ؟

- نعم .. عندما تحدثت الي رجلكم هناك ، عرضت عليه أن أثير بعض الشغب .

- الشغب ؟ إن الشغب هو آخر ما أفكر فيه ، ولكني اقترح في ما أفضل من العمل ، أفضل كثيرا لأنه لايحدث ضجة لنفرض أنك ترغب في زرع قنبلة في ميناء حيفا ، لابد أولا أن تعرف المكان المحدد لوضع القنبلة ، أليس كذلك ؟

ومرة أخري قال " آبد " في نفسه ، هذا الثعلب شرير بقدر ما هو مراوغ ، فلم يحدث أن قلت أنني أرغب في زرع القنابل في الميناء ولكنه أعلن موافقته علي أن العمل يجب أن يكون مسبوقاً بجمع المعلومات ، وفي النهاية سأله الثعلب سؤالا يبعث علي الحيرة :

- كيف تنطق جاكي اسمك ؟
- آبد .
- سيظل هذا هو اسمك ، أليس ذلك مناسبا ؟
- وهل كان علي أن أنتحل اسما آخر ؟
- يا آبد . اتمني لك حظا طيباً .

ورغم أن أول رجلين التقي بهما " آبد " كانا علي هذه الدرجة من الغرابة ، إلا أنه وجد في عالم الجاسوسية بعد ذلك جانبا بهيجا ، فقد نصحه " الثعلب " بأن يصحب عروسه الي اسرائيل ، وقبل أن يرحل قال له :

- آبد .. هل تعرف اسحق رينا ؟

علت الدهشه ملامح " آبد " فلم يكن يخطر بباله مطلقا أن ضابط المخابرات المصري الذي يتحدث اليه يمكن أن يكون علي صلة باسحق رينا واستطرد الثعلب :

- اسحق رينا ، قرر إقامه مصنع للحلوي في أوبرفليت ، ويحتاج الي نقود للتشغيل ... أين أوبرفليت هذه ؟
- هنا في باريس .
- متي ستعود الي اسرائيل ؟
- لم أقرر بعد ، ولن أسافر قبل فبراير ، جاكي ستحصل علي أجازة في فبراير .
- لا تتأخر إذن ، وعندما تصل الي اسرائيل فعليك أن تعاون اسحق رينا ، ولكن احذر أن توافق علي معاونته فوراً ، تظاهر بالتردد في البداية ، هل لديك أية أسئلة يا آبد ؟

ولم تكن ثمة أسئلة لدي " آبد " الذي كان يخفي عجبه وراء مظهره المتزن ، ولعله كان يتوقع بعض الغموض ، ولكنه لم يكن يتوقع أبدا هذا الاسلوب من العمل ، ومع ذلك مضي قد ما نسافر في الرابع من فبراير الي حيفا .

كان العم اسحق رينا مواطنا إسرائيليا يقيم في كيريات موتسكين ، وحتي هذه اللحظة ما زالت زوجته استير وابنتها ليلي وشقيقها يشوع يقيمون هناك ، والمذهل أن العم اسحق زار مزرعة " أيطن " والتقي بآبد وعرض مشكلته عليه ، وافق آبد بعد التردد اللازم علي المساهمة بحوالي عشرين الف ليرة إسرائيلية . وانتهت الصفقة بسفر الرجلين الي فرنسا . وأقيم المصنع في أوبرفليت بالفعل ، وكان

ينتج ثلاثة أطنان من الحلوي يوميا في البداية ، وكان لآبد ثلاثون في المائة من الأرباح . ولكن الشئ المحير أن العم اسحق لو يكن عميلا للمخابرات المصرية ولم تكن له أيه صله بها .

وفي باريس تحول صاحب المزرعة الوسيم الي رجل أعمال ناجح ، بعد أن أصبح تنقله بين إسرائيل وفرنسا أمرا منطقيا ، وقد اشتري عربة ستروين سجلها في سجلات المرور الفرنسية برقم (١٣٨ ك ٩٢) ، واتم دراسته في الأليسانس فرانسيز وأتقن اللغة الفرنسية ، وأقام مع جاكي الفاتنة بعد أن تزوجها في شارع دي شونو ، وتدفقت الأرباح وازدادت أعماله رواجا .

ولكن كل ذلك لم يحل دون قيامه بجوله طويلة في أوربا تحت ستار البحث عن المواد الخام للمصنع ، وأيضاً لتسويق منتجاته ، وإن كانت مهمته الحقيقية بعيدة كل البعد عن أعمال التجارة .

ففي قرية " كنرك " الواقعة علي الحدود الهولندية _ البلجيكية أقام له " الثعلب " أغرب مدرسة في هذا الكون ، إذ كانت تحتل فيللا من طابقين بالقرب من شاطئ البحر ، وكان الطابق الأول مخصصا لإقامه المدربين ورجل يقوم بدور الخادم ، وفي الحديقة كانت عربة صغيرة من طراز فولكس فاجن ترقد في حراج ضيق ، أما الطابق الثاني فكان يشتمل علي صالة للتربية البدنية ، وغرفة نوم ملحق بها حمام ، وفصل دراسي واحد لتلميذ واحد هو " آبد " .

وكانت الأوامر قاطعة وصريحة .. المشتريات كل أسبوع ولا ظهور في النوافذ ، ولا خروج من الفيللا إلا بنظام خاص ، التدريب يبدأ في الصباح الباكر والقهوة ممنوعة بعد الثامنة مساء ، فقد كان جاسوسا عظيما يعد بعناية لكي يشق طريقه الي قلب إسرائيل .

وفي هذه المدرسة تعلم " آبد " ألوانا عجيبة من المهارات ، وصنونا أكثر عجبا مـن الحيـل ، وكانت درجة استيعابه رائعـة الـي أبعـد مـدي ، وقـد درب تـدريبا جيـداً علـي الإرسـال والاسـتقبال وتشفير الرسائل والكتابة السرية والتصوير ، وقضي وقتا طويلا في التدريب علي جمع المعلومـات ، وكانت تمارين تقوية الذاكرة قاسما مشتركا في البرنامج اليومي لتنمية قدرتـه علـي الاختـزان : فقد وضع في الاعتبار أن المعلومات البالغة السرية لابـد أن تنقـل مـن إسـرائيل الـي فرنسـا أثنـاء رحلته المقبلة من المزرعة الي المصنع ، ومـن المصـنع الـي المزرعـة ، كـذلك تسـلم الرمـز الـذي عمل تحته طوال السنوات التالية (٧/٣٣) .

وكان عليه أثناء الدراسة أن يكتب رسالة لزوجته كـل أسـبوع ، وكـان الثعلـب يمـده بـأوراق لكتابة الرسائل عليها أسماء فنادق منتشرة فى العواصم الأوروبية ، والغريب أنه ذكر لزوجتـه فـى إحدى الرسائل أنه يقيم فى شقة تملكها سـيدة فرنسـية فـى زيـورخ ، وحـدث أن إتصـلت زوجتـه تليفونيا بهذه السيدة مستفسرة عنه ، وأجابتها هذه السيدة بأنه غادر المكان فى اليوم السـابق متجها إلى روما ، ويبدو أن الثعلب أرسل أحد رجالـه بعـد أن زوده بـأوراق تثبـت أنـه " آبـد " ليقـوم بالجولة نيابة عنه حتى يغطى وجوده فى مدرسة التدريب .

وفى آخـر أيـام الدراسـة أقيمـت لـه حفلـة تخـرج علـى نطـاق ضـيق ، وأخيـراً إنطلقـت بـه الفولكس إلى " بولون سيرمير " وهناك وجد تذكرة فى القطار المتجه إلى " ليل " ، ومـن " ليـل " إستقل قطار الحادية عشـرة لـيلا إلـى بـاريس ، وقـد مـنح أجـازة لمـدة أسـبوعين كـاملين . وفـى باريس كان العم اسـحق رينـا سـعيداً رغـم أن جولـة " آبـد " لـم تسـفر عـن أى كسـب ذى بـال . ولاحظ " آبد " أن حساب المصروفات الذى أطلعه عليه العم اسحق ، كان يتضمن بعـض المبالغـات التى لا تعنى سوى أنه اختص نفسه ببعض المزايا ، أمـا جـاكى فقـد نظـرت إلـى الرحلـة بإرتيـاب

خفى ، ودققت البصر فى أكتاف سترته، ودست أنفها فى ثيابه ، لعلها تعثر على آثار امرأة أخرى.

وفى منتصف إبريل سنة ١٩٦٦ إلتقى آبد بصديقه " الثعلب " فى حانة الملاك الأزرق ، وصحبه الثعلب إلى شقة فى شارع سان كلود ، وهناك أطلعه لأول مرة على معدات التجسس وهى : جهاز راديو دقيق الصنع مزود بعجلة خاصة لتنقية الصوت ، وجهاز إرسال مكون من ثلاث أنابيب معدنية ، وثلاث لفات من البانداج ـ الشاش الطبى ـ يمكن بإذابة قطعة منها فى كوب ماء أن يحصل على حبر سرى يكفى لكتابة مقال كامل ، وكاميرا للتصوير ، وزجاجة بها مسحوق رمادى وأمبول أشبه بأمبول الماء المقطر الذى يستخدم فى الحقن ، وكان عليه أن يخلط السائل الذى فى الأمبول بالمسحوق الرمادى ليحصل على قنبلة تكفى لتفجير معدات التجسس كلها فى الوقت المناسب .

وفى مايو ١٩٦٦ رحل " آبد " ـ دون أن يصحب زوجته ـ إلى حيفا ، وكانت الستروين معه على نفس الباخرة ، ولأن صديقه " الثعلب " كان رجلا على دراية بأمور كثيرة كما كان يبتكر حلا لكل مشكلة كانت معدات التجسس تقبع فى بطن تنك البنزين فى عربته ، وتمكن من إجتياز أخطر مراحل مهمته بنجاح إذ مرت العربة بعد أن فحصها مفتشو الجمارك فى حيفا بدقة ، وإستأجر لنفسه شقة فى العمارة رقم ٥٣ بشارع بارجيورا ، وكانت شقته الفاخرة تطل على نادى " هابوعيل " ـ هابوعيل معناها العامل ـ وكانت أهم مميزات هذه الشقة ، خارج الشقة نفسها ، إذ كان ملحقا بها جراج صغير أسفل العمارة ، وفى هذا الجراج إستخرج " آبد " أكياس البلاستيك التى كانت تحتوى على المعدات الخطيرة ولم يكن الشق الذى أحدثه فى تنك البنزين كبيرا ، وتمكن من لحامه دون أية ضجة .

وأدعى " آبد " أن لديه فكرة تصدير كمية هائلة من الموالح إلى فرنسا كغطاء لإقامته بمفرده فى ميناء حيفا ، وكان واضحا أن الشهية تأتى مع الأكل وأن النجاح يؤدى إلى النجاح .

وفى هذه الفترة حصل آبد على معلومات عظيمة النفع عن ميناء حيفا ، والتقط لنفسه مجموعة من الصور فوق حاجز الأمواج فى الميناء ، وأجرى أول إختبار للإتصال ، وكانت الرسائل واضحة بدرجة كافيه ، أما مراسلاته بالحبر السرى فكانت على عنوان فى بال بسويسرا .

فى أحد الأماكن " الآمنة " فى باريس التقى " آبد " بإثنين من ضباط المخابرات المصرية .. إنهالت عليه الأسئلة وإعتذر هو بإنه لا يستطيع شرح كل التفاصيل الهامة إلا إذا كانت أمامه خريطة ، إستأذن أحدهما .. ثم عاد ونشر أمام " آبد " خريطة مكبرة لإسرائيل وأخرى مكبرة لميناء " حيفا " .. وكم كانت دهشة " آبد " لأن الخريطتين كانتا بالعبرية والأغرب أنهما صادرتان عن هيئة المساحة الإسرائيلية !.. ووقف الضابطان بجانب آبد وهو يشرح ويحرك إصبعه فوق الأماكن والشوارع وتفاصيل ميناء حيفا وأماكن الحراسة والمراقبة .. وإنتهت حلقة الدراسة بعشاء فاخر !

كان " آبد " عملاقا بالغ الجرأة لم تقف أمام روحه الوثابة أية عقبات ، كذلك كان مخلصا ، سرعان ما أقام شبكة قوية بهدف تأمين شريانين رئيسيين بينه وبين العالم الخارجى ، أحدهما على طريق الميناء ، وكانت وسيلته هناك شابا عربيا يدعى توفيق رياض ، وكان توفيق يعمل برتبة " رف سيمال " " صول " فى قوة ميناء حيفا . والآخر عن طريق الحدود الإسرائيلية المطلة على سوريا والأردن ، وكان رجله هناك شابا درزيا يدعى مازن الطبى ، كذلك تمكن من تجنيد فتاة بغى من أصل يمنى تدعى تسيبورا زابارى .

وفـى هـذا الوقـت كانـت مطالـب المخـابرات المصـرية تتـوالى كأنهـا طوفـان ، طلبـوا منـه معلومات مفصلة عـن الميـناء الحربـى ، وكلفـوه بـرحلات متعـددة إلـى كـل المـوانىء الإسـرائيلية بهدف الإسـتطلاع .. وقد تمكن من إجابة مطالـب القـاهرة بحمـاس لـم يمنعـه مـن تـوخى الحـذر . ولسـت أعتقد أن هناك جاسـوسـا تمكن من تأدية واجبه كما فعل " آبد " كما أعتقـد أن هـذا البطـل لم يشعر ولو لحظة واحدة بأن حياته ذات قيمـة ، فقـد ضحى بنفسـه وبـذل جهـده كلـه ، وحقـق لمصر أجل الخدمات على الإطلاق .

وذات يوم كان " آبد " قد فرغ من بث إحدى رسائله إلى القاهرة وحمل جهاز الإرسـال إلـى مخبئه الأمين فى الحمام ، حيث كان قد نزع أربـع قطـع مـن المزايكـو وحفـر وراءهـا حفـرة لإخفـاء معداته ، وما أن فرغ من تثبيت المزايكو فى موضعه ولصقه بمادة لاصقة حتـى دق جـرس البـاب ، وعنـدما فـتح "آبـد" بـاب الشـقة شـعر كـأن سـاقيه تحولتـا إلـى لفـافتين مـن قـش الأرز ، فأمامـه مباشرة ، وعلى مسافة ياردة واحدة كان يقف جيورا زايد ، نائب مدير المخـابرات الإسـرائيلية فـى حيفا .

وإتضح بعد ذلك أن جيورا ـ هو ابن ألكسـندر زايـد أحـد مؤسسـى إسـرائيل ولـه تمثـال فـوق هضبة "جنعات زايد" كان صديقا لآبد منذ الطفولة ، ولم تكن زيارتـه لأسـباب تتعلـق بمهنتـه إذ أنـه سـأل عن آبد فى المزرعة وعرف أنه يقيم فى حيفا فجاء لزيارته ، وإنتهز آبد الفرصـة فأعـاد توطيـد صداقته برجل المخابرات الإسرائيلى ، وفيما بعد ، كان آبـد يحـرص علـى تزويـد جيـورا بالمقويـات ـ التى تدخل فى تركيبها الهرمونات ـ وكان يغرقه بالهدايا التى كان يجلبها من فرنسا ، وحصـل منـه على قدر ثمين من المعلومات .

فى مايو ١٩٦٧ ، أخذت نـذر الحـرب تتجمـع فـى الآفـق ، وكـان " آبـد " هـو أول مـن تشــمم رائحة الحرب حتى قبل أن تحتدم الأزمة الشهيرة حول خليج العقبة ، إذ إسـتدعاه المصـريون إلـى باريس وإتفقوا معه على شفرة مختصرة ، " عمتى مريضة وأمى بخير " فمعنى ذلك أن إسـرائيل كلها تحتشد للحرب .

وطوال شــهر مـايو كـان واجـب " آبـد " أن يجـوس خـلال إسـرائيل وأن يراقـب المطـارات وأن يجمع معلومات فورية من أفراد السلاح الجـوى ، وكـان هـو علـى عادتـه جسـورا لا يهـاب شـيئاً ، وكانت المعلومات التى أرسلها فى تلك الفترة بالغة الغزارة ، كما أن برقياته توالـت بشـكل مـؤثر ، وكانـت كـل برقياتـه تشـير إلـى الإسـتعدادات الإسـرائيلية المكثفـة . وبعـد حـرب ١٩٦٧ ، طلـب المصريون من " آبد " أن يقترب أكثر من المؤسسات الإسـرائيلية المغلقـة ، فكـان هـو يتعجـب لأن هؤلاء الرجال لم يفقدوا القدرة على مواصلة جهودهم الخارقة بنفس الحماس رغم الصدمة ، ولـم يكن آبـد قـد توغـل بعـد فـى عـالم المخـابرات إلـى الحـد الكـافى ، وإلا لـزال عجبـه ، لأن القاعـدة الأساسية التى تحكم رجل المخابرات هى ألا يفقد صبره أبـدا ، وأن يسـتفيد مـن موقـف الضـعف لكى يثب إلى مواقف القوة ، وأن يتخطـى الصـعاب الناجمـة عـن سـوء التقـدير لمعلوماتـه دون أن يعير ذلك أدنى إلتفات .

وعندما عاد " آبد " إلى إسرائيل وثق صلته أكثـر بجيـورا زايـد ، ولـم يكـن جيـورا هـو أفضـل أصدقائه إذ كان يعرف موشى ديان نفسه منذ كان ديان وزيـرا للزراعـة ، وعنـدما سـطع نجـم ديـان بعد حرب ١٩٥٦ أقلع عن زيارة المزرعة التى كان يطيب له أن يقضى بعض الوقت فيها عنـدما كـان مغموراً ، ولكن المصريين طلبوا من رجلهم أن يسعى وراء ديان ، ولـم تكـن الكبريـاء مطلوبـة فـى هذا الموقف ، لذلك حصل " آبد " من رؤسائه على جرة من الفخار ، يرجع تاريخهـا إلـى ثلاثـة آلاف سنة ، ودفنها وراء سور متهدم بالقرب من مصنع عصر الزيوت فى مزرعته ، وهناك ، قرر أن يزيل

بقايا المصنع ليقيم مكانه فيلا لـه ، وأثنـاء الحفـر عثـر علـى الجـرة ووجـد مـن المناسـب أن يخطـر صديقه القديم بالكنز الذى عثر عليه بالصدفة .

كان ديان منتفخ الأوداج بعد حـرب ١٩٦٧ ، ولـم يكـن فـى موقـف يسـمح لـه بالتبصـر ، فقـد ركب الموجة وأعتقد أنه هو الذى إنتصر ، وكانت الأفعال المنعكسـة تتضاعف فـى الجـو ، الجمـاهير الإسـرائيلية تعتقد أن ديان هو البطل ، وديان يعتقد ذلك هو الآخـر لأن الجمـاهير تنـادى بـه ، وكـان الفيلسوف الشـهير هيجل يشـهد مـن العـالم الآخـر نظريتـه عـن الأفعـال المنعكسـة وهـى تطبـق على خير وجه . وفى تلك الفترة إزداد حماس ديان تجاه الآثار ، فراح ينقـب عنهـا لعلـه يعثـر علـى ما يثبت أن إسـرائيل كانت ذات حضارة فى يـوم مـا ، وكانـت روث زوجـة ديـان السـابقة قـد هجرتـه وإفتتحت محلا لبيـع التحـف الأثريـة فـى تـل أبيـب ، وذات يـوم ذهـب " آبـد " إلـى فنـدق دان فـى أليركون حيث تعود ديان أن يقضى فتـرة مـا قبـل الغـروب فـى إحتسـاء الويسـكى بصـفة مجانيـة . وهنـاك التقـى الأصـدقاء القـدامى وهمـس " آبـد " فـى أذن صـديقه بقصـة الجـرة ، وعلـى الفـور إسـتقل ديان عربة آبد وتبعتها عربة جيـب للحراسـة ؛ وعنـدما وقـع بصـر ديـان علـى الجـرة كـاد أن يـرقص طربـاً . وهكـذا توطـدت صـلة جاسـوس القـاهرة بـأعلى شخصـية فـى جـيش الـدفاع ، وتكشفت جوانب خافية من حياته .

كان عملاقاً فى نظر الآخرين ولكنه قزماً بينه وبين نفسـه ، إذ كـان يشـعر بالإرهـاق لأقـل سـبب وكان يكره دخان السجاير لأنه يصيبه بضيق فى التنفس ، وعرف آبد أن ديـان أدمـن تعـاطى الحبوب المهدئة ، كما كان يصاب بـالفزع كلمـا مـر بجـوار مستشـفى هداسـا ، فهنـاك إسـتؤصـلت عينه وأصبحت الأخرى مهدده بالذبول ، وكثيراً ما كان يصـرح لصـديقه بقولـه : إن لـدى عـدداً مـن الأمور الهامة ولكن أهم ما يشغلنى هو أن أتذوق الحياة التى أطل عليهـا مـن ثقـب واحـد ـ يقصـد العين الواحدة ـ وقد أثرت نزوات ديان على تصرفاته بشـكل جلى ، فكان مولعا بالنسـاء ، وقد طلق

زوجته بسبب علاقته بسيدة تدعى راحيل كورين ، كما كان يقضى وقتاً طيباً مع حائكة ثياب تدعى اليشفا زايسيس وعندما رأى ديان " سالومى " مع آبد سال لعابه من جديد .

كانت سالومى ـ أوشو لاميت ـ نموذجاً نادراً للجمال والفتنة . عينان واسعتان وأنف أشم وشعر فاحم أسود ، وكانت بشرتها النضرة تشع الحيوية وتتوهج بالدعوة على حياء ، كانت المرأة مولعة بآبد تتردد كثيراً على المزرعة ، وكان ديان يلتهمها بعينه الواحدة ويطيل بقاءه لأطول وقت ممكن إن تصادف أن وجدها هناك ، وفى هذه الآونة وأثناء السهرات الخلوية الممتعة وسط المروج ، إرتكب ديان واحدة من حماقاته إذ قال لآبد : إن مصر غير راغبة فى الحرب ، ولكنها لن تجد مفراً من أن تحارب ، لذلك سوف أستفزهم لكى أعطيهم ذريعة لكى يقدموا على الخطوة الحمقاء الوحيدة التى تلوح أمامهم ، أن يهاجموا وعندئذ سوف أسحق عظامهم .

ومع ديان وطد آبد صلته بشخصية هامة أخرى فى إسرائيل " ديفيد ها كوهين " ، كان ديفيد هذا أحد مؤسسى شركة سوليل بونيه ، وهى شركة مقاولات ضخمة فى إسرائيل ، وقد خدم لبعض الوقت كسفير لإسرائيل فى بورما ، ثم عين سفيراً فى وزارة الخارجية ، وبعد ذلك أصبح عضواً فى الكنيست ، وكان متزوجاً من امرأة يهودية تدعى تسيبورا ، وكانت تسيبورا متزوجة من رجل فلسطينى يدعى سهل شكرى ، ولكنها تركت زوجها وإبنتيها منه ولحقت بكوهين ، وقد تمكن آبد من السيطرة عليها تماما ، وفى وقت ما من ١٩٦٩ توصل آبد إلى كل الرسوم والتصميمات الخاصة بإنشاء التحصينات الإسرائيلية على جبهة القناة والتى عرفت فيما بعد باسم خط بارليف ، وكانت وزارة الدفاع الإسرائيلية قد سلمت هذه الرسوم على شكل وثائق بالغة السرية لشركة سوليل بونيه لتتولى تنفيذها ، ولم تتكلف عملية الحصول على الرسوم سوى مبلغ صغير نسبياً .

ولكن أسوأ من تعرف عليهم آبد كان رجلاً يدعى خالد الزهر ويعمل موظفاً فى وكالة دوف جريفر للسياحة ، ويقع مكتبها حتى الآن فى شارع خياط إلى اليمين من ناحية البحر ، هناك حيث باب الميناء بجوار مكتب " العال " وكان آبد قد خرج من مكتب أوليمبيك الذى يقع فى شارع هامتشمنوت " الإستقلال " بعد مقابلة مع ديانا مطر وهى فتاة تعمل موظفة فى شركة أوليمبيك وكانت تربطها به علاقة وثيقة ، وأثناء سيره فى المنطقة تعرف على الزهر .

كان الزهر رجلاً خسيساً يبدو عليه الجشع عرف فيما بعد أنه كان يعمل مدرساً فى مدرسة إبتدائية وفصل بسبب السلوك فإفتتح مطعماً شعبياً فى وادى النسناس ثم أفلس وأغلق أبوابه وعندما عثر عليه آبد وجد فيه صيداً ثميناً ووطد علاقته به ثم عقد معه صفقة سخية .

وكان الزهر بحكم عمله فى موقع يطل على قطاع عريض من اليهود الذين يفدون حديثاً إلى إسرائيل ، ولأن وكالة جريفر تتمتع بسمعة حسنة رأى آبد أنها المكان المناسب للقيام بعملية فرز دقيقة للمهاجرين الذين يتعاملون معها ، وقد إستبعد منذ اللحظة الأولى السيد جريفر نفسه ولم يبق أمامه فى مجال إختيار فراز سوى الموظفين الثلاثة الذين يعملون فى مكتب هذه الوكالة وهم شاب رومانى تبدو عليه البلاهة يدعى باكوف ، وفتاة يهودية متدينة إلى درجة مخيفة تدعى آليز ، وخالد الزهر هذا وهو أفضل الثلاثة على الأقل لأنه فلسطينى الأصل . لذلك وقع إختيار آبد عليه .

وإختلق آبد قصة خيالية للزهر : قال أن له صديقاً يعمل فى تهريب الماس ويود أن يحصل على بعض جوازات السفر ليستخدمها أعوانه المهربون ، وعرض خمسمائة ليرة للجواز الواحد ، ولكن الزهر مسح شفتيه بظهر يده .. ثم رفض ، وعندئذ رفع آبد المبلغ إلى ألف ليرة وأعلن أنه لن يدفع فوقها "أجروا" واحد ، وكانت هذه الحيلة تشكل الخطوة الأولى فى عملية تجنيد الزهر .

ونجح العميل الجديد فى الحصول على جواز أحد الإسرائيليين وعندما تسلمه آبد أخبره أن الأعمال سوف تتقدم شيئاً فشيئاً ، وأن ثمة صفقات أخرى سوف تعود بربح أكثر وفرة ، وأبدى الزهر إستعداداً كافياً لتأدية أية خدمات ولكن آبد لم يكن قد قرر مصارحته بحقيقة الدور المطلوب منه بعد .

وفى الثالث عشر من يناير كان آبد يزمع الرحيل إلى فرنسا فإتخذ طريقه إلى مطار اللد ، وقد لاحظ وهو مندفع فى طريقه إلى هناك عربة من طراز بيجو تقتفى أثره فراح يدور فى دوائر مقفلة ولكن صورة البيجو اللعينة ظلت تنعكس فى مرآة سيارته . وإستخدم آبد كل الحيل التى تعلمها للإفلات من المراقبة ، وعندما إختفت البيجو فى النهاية تنفس الصعداء .

دخل آبد إلى مطار اللد وبصحبته أحد أقاربه وكان كل شىء هادئاً وكانت عيناه اللتان تشبهان عينى الفهد تمسحان أركان المطار وهو يشعر فى أعماقه بقلق لا يعرف مصدره ، وفجأة وصلت البيجو إلى المطار وهبط منها رجلان تنذر ملامحها بالشر ، وإستدعى آبد إلى غرفة من غرف حرس المطار وهناك قام الرجلان بتفتيشه بينما وقف أربعة جنود وبنادقهم مصوبة إلى رأسه .

لم يكن فى حوزة آبد أى دليل يمكن أن يدينه ولكن تفتيش عربتـه أسـفر عـن العثـور علـى جواز السفر الذى أعطاه له " الزهر " وكان هذا الجواز باسـم " سيفى هير تزوج " من " بيـت شـان " وسأله أحد الرجلين ـ وهو ضابط مخابرات يدعى ناثان وينتحل اسم آر يه ـ وهو يلوح بـالجواز فـى وجهه :

- ما هذا الباسبور ؟
- أى باسبور ؟
- هذا .
- آوه ... لقد آخذته خطأ مـن مكتـب السـياحة ، يبـدو أنـه كـان ملتصـقاً بباسـبورى ، وكنـت أنتوى رده بعد عودتى ، لن أبقى ...
- لا ... لم تحصل عليه خطأ ، فنحن نعرف .

كان خالد الزهر قد غدر بآبد وكان الإسرائيليون يتصرفون وهـم يعرفـون أيـن هـدفهم ، وأدرك هـو أن اللعبـة قـد إنتهـت ، لـذلك إعتـرف لهـم ـ وفـق القواعـد التـى تعلمهـا عـن مواجهـة مراحـل الإستجواب ـ ولكنه أخفى عنهم أثمن ما فى جعبته . تفاصيل المعلومـات التـى سـلمها للقـاهرة عن تحصيناتهم العسكرية .

ولأن الإسرائيلين لم تكن لديهم أية فكرة عن هذا الموضوع إكتفوا بما قدمـه لهـم مـن أدلـة وقدموه للمحاكمة وصدر الحكم بحبسه ثمانية عشرة عاما ، ومـن الغريـب أن الإسـرائيلين أنشـأوا خط بارليف بنفس المواصفات التى كانت فى حوزة القاهرة .

هكذا سقط جاسوس من أعظم الجواسيس وأبرعهم نتيجـة وشـاية ولكنـه أصـبح دلـيلاً لا يتطرق إليه الشك على عظم نكبة الإسرائيلين فى حرب أكتوبر ، فبصرف النظر عن كل الدعاوى

الإسرائيلية بشأن هذه الحرب حدث أن أصرت مصر على أن تتسلم جاسوسها قبل مناقشة أى حلول مقترحة للموقف الملتهب الذى توقفت عنده المعارك العسكرية ، كان موقف إسرائيل بالغ الحرج فلم يسبق فى التاريخ كله ، أن رضيت دولة بتسليم أحد رعاياها لأعدائها ، والمؤكد أن موقفهم كان قاسياً لأنهم أبدوا ملاحظة فى البداية تتعلق بإستحالة تسليم أحد الإسرائيليين لمصر ، ثم إضطروا فى نهاية الأمر إلى الإذعان .

وهكذا جاء آبد إلى القاهرة .. والمذهل أنه أخطر بقرار تسليمه إلى القاهرة ـ بصفة رسمية ـ صباح اليوم الذى حدده لتنفيذ خطة هربه من " سجن الرملة " .. كانت عملية " آبد " نموذجاً للجهد العظيم والخلاق الذى بذله رجال المخابرات المصرية طوال تلك السنوات العصيبة : لكى تتسلل عيونهم إلى أصغر خلية فى جسد إسرائيل !

أقام آبد عقب وصوله فى فيللا أنيقة تحيط بها حديقة رائعة فى أحد ضواحى القاهرة ، وسرعان ما لحقت به زوجته الفرنسية الجميلة المثقفة " جاكيه " وبصحبتها كلبه ـ من سلالة نادرة ـ وقطته الفرنسية !

عين النقب

عرفه عبده على

لم يكن عظيما كهؤلاء الذين سبقوه ، ولم يترك فى عالم الجاسوسية خطا بارزا يستحق به أن يخلد ، ولكنه كان جرس تحذير رهيب للمخابرات الإسرائيلية ، هاجم كل النظريات التى كانت سائدة قبله فى مكاتبها ، وجعلهم يعيدون تقدير موقفهم بعد أن أفاقوا من الدهشة ، وإن بقيت دعاواهم الزائفة عن حائط الأمن تتردد بشكل علنى كنوع من الدعاية فى بعض الأحيان ، وكإغراق فى أحلام اليقظة أحياناً كثيرة .

إنه " الكسندر بولين " الذى لم يكن إسرائيليا فحسب ولم يكن يهوديا فقط ، ولكنه كان ضابطا له تاريخ حافل فى حروب إسرائيل ، وكان أيضاً موجها سياسيا فى وحدة البالماخ التى إنتمى إليها . ولعل صفاته هذه هى السبب فى أن الإسرائيلين لاذوا بالصمت فترة طويلة فقد كان مختلفا تمام الإختلاف ، هادىء الطبع رقيق الحاشية . لا يدخن ولا يقرب الخمر ، شديد النفور من الحسناوات ، ربما لأنه يهودى متعصب يؤمن بدينه ، فرغم أنه كان شابا فى العقد الثالث من عمره ، إلا أنه كان دائم التردد على المعابد . وقد زار حائط المبكى مرات عديدة ، وهناك كانت تمنعه رجولته الصلبة وتاريخه العسكرى المشرف والعريض من أن يذرف الدموع ، ولكنه كان يشعر بخشوع طاغ أمام أى شيء يرتبط بالسماء حتى لو كان زائفا .

ولقد إشتهر الكسندر فى أوساط الجيش الإسرائيلى باسم " بوليتراك " وهى كلمة مشتقة من طبيعة عمله ، فى قطاع التوعية السياسية ، ومن الحقائق الثابتة فى وثائق الجيش أنه كان ضابطا مثقفا ذا مقدرة هائلة على التأثير فى نفوس سامعيه ، وكانت ندواته تحوز رضا القادة ، وكثيرا ما حضر بن جوريون وإيجال آلون ، كمستمعين فى المحاضرات التى كان ينظمها للضباط ، والتقطت له صور تذكارية مع أغلب الرؤساء فى إسرائيل . ولو أن أحد المخالطين لألكسندر سئل عن مثله الأعلى لكان ذلك الرجل بالتأكيد ، فمن أول رئيس الحكومة حق عامل النظافة فى الحى الجديد من مدينة بئر سبع القديمة ، كان الكل يكن الإعجاب لذلك الضابط الجاد المهذب ، الذى يتدفق بالحماس . ولم يكن أحد يتصور بالطبع أنه ليس سوى جاسوس داهية من جواسيس القاهرة.

كان مقيماً فى بئر سبع ، وكان بيته الأنيق المكون من طابق واحد يطل على الطريق المؤدى إلى ميناء إيلات فى أقصى الجنوب ، ولدرايته بالأمور العسكرية كان رقيباً رائعاً ويقظاً وعيناً مفتوحة على الباب الشمالى لصحراء النقب ، وأصبح جديراً باللقب الذى أطلقه عليه جهاز المخابرات العامة المصرى : عين النقب ، والمذهل أن هذا اللقب نفسه استخدم كوسيله للتعارف بين الكسندر وبين بعض الرسل الذين أوفدوا إليه من القاهرة إبان فترة نشاطه .

بدأت القصة فى شتاء سنة ١٩٥٥ ، وكان الكسندر قد قام بجولة فى القارة الأوروبية بقصد السياحة ، وانتهى به المطاف فى مدينة زيورخ .

وهناك وسط طبيعة قاسية ولكنها محببة عكف على القراءة فى فندق بسيط يشرف على الطرف الشمالى للمدينة ، واتخذ لنفسه نظاماً دقيقاً فكان يصحو فى

الصباح الباكر ، ويتناول إفطارة فى غرفته ثم يهبط إلى البهو ويلقى تحية الصباح إلى صاحبة الفندق ، وعلى الدرج الأمامى يقف لحظة ويملأ رئتية بالهواء ، وفى النهاية يحرك عصاه ايذانا ببدء جولة على الأقدام كانت تستغرق ساعتين بالضبط.

كان النزلاء قلة ، وكانت معظم الغرف خالية ، وكان الكسندر يثير الفضول وهو عائد قبل الظهر ليحتسى قهوته فى البهو ، وبعد أن يفرغ من القهوة كان يخرج كتاباً من جيب معطفه ثم ينهمك فى القراءة ، ولم يكن يرفع رأسه عن الكتاب إلا فى وقت الغداء ، وكان يتخير مكاناً بعيداً عن طرف المائدة ويبتلع طعامة دون أن يرفع عينيه عن طبقه ، وفى المساء كان الرجل يجلس إلى جوار المدفأة وكتابه يخفى وجهه . وفى بعض الأحيان كان يطلب كوباً من الشاى ، ولم يكن يغادر مكانه إلا ليتناول عشاءه ، ثم يمضى السهرة فى البهو ، وعندما يصعد إلى غرفته كان يترك النور مضاءً حتى ساعة متأخرة من الليل .

كان سلوكه عادياً لا غبار عليه ، ولكنه قدم على تصرف يتسم بالغرابة ، فذات ليلة عاصفة من ليالى يناير ، فوجئت صاحبة الفندق بالكسندر مرتدياً معطفه وقد رفع ياقته حول أسفل وجهه ، وكانت الأرملة السويسرية الطيبة تعد طعام العشاء لنزلائها عندما مر بها فى طريقه إلى الطابق الأول ؛ ولم تخف دهشتها لأن هذا النزيل الغريب يغادر الفندق فى طقس غير ملائم . وعندما جلست إلى المائدة هتفت : إننى أشفق على مسيو بولين . فقد خرج دون أن يحدد وجهته . وما أن فرغت من طعامها حتى بدأت الأمطار فى التدفق كالسيل .

وفى الصباح شوهد الكسندر على مائدة الإفطار وكان وجهه شاحبا وإكتفى بقطعة من الكعك وقدحا من القهوة ثم هبط إلى البهو . وقبل أن يبدأ

جولته اليومية اتجه إلى التليفون وبعد أن رفع السماعة تلفت حوله بهدوء ثم وضعها فى مكانها . وكان جليا أن يفكر فى الإتصال بإنسان ما ، ثم تراجع . وأخيرا لوح بعصاه ومضى إلى الطريق .

وفى اليوم التالى إتصلت إمرأة بالفندق مستفسرة عن الكسندر وكان هو فى غرفته ولم تدم المحادثة أكثر من ثوان قليلة لم ينطق خلالها إلا بكلمتى نعم ولا. ولم يكن يتحدث الفرنسية . وبعد ربع ساعة طلب عربة تاكسى بالتليفون وعندما هبط الدرج كان يرتدى معطفه وقد دس إحدى يديه فى جيبه . أما اليد الأخرى فكانت تقبض على حقيبة كتبه . ويبدو أنه كان فى عجلة من أمره .

قضى الضابط الشاب أسبوعا بعد ذلك على نفس النهج المعتاد ولكنه كان مكتئبا . ولاحظ النزلاء أنه أصبح أقل شهية للطعام . كما أنه يلازم غرفته وقتا طويلا . وفجأة إتصلت إمرأة بالفندق مستفسرة عنه . وبعد أن تبادل معها حديثا مقتضبا أسرع إلى الخارج وهو بادى المرح . الأمر الذى أكد للجميع أن فى حياته قصة حب عميقة لا يود أن يفصح عنها لأحد . وتأكدت الظنون عندما عاد بعد ساعة وهو يصفر بفمه أغنية روسية دارجة . ولاحظت صاحبة الفندق أن العربة التى أقلته لم تتوقف بعد أن هبط منها . مما دفعها إلى الإعتقاد بأنه لم يعد فى عربة تاكسى .

وطوال الأيام الأربعة التالية كان الكسندر يبدو فى أوج مرحه فكان يكثر من الحديث إلى النزلاء ، وشوهد وهو يتبادل حديثا ضاحكا مع مضيفته . ولكن الأمور تبدلت بشدة بعد أن قام بإحدى جولاته الغامضة ذات مساء . إذ عاد إلى إكتئابه وإكتست ملامحه بقناع من الوجوم ، وقد قضى يوما بأكمله متقوقعا فى

غرفته ورفض أن يتناول شيئا من الطعام . وعندما سألته صاحبة الفندق عما إذا كان فى حاجة إلى طبيب تمتم ببضع كلمات وأشاح بوجهه بعيدا وهو بادى الحزن .

وتوجت تلك الفترة الشديدة الغموض من حياة الكسندر بزيارة غامضة أخرى ولكنه لم يقم بها هذه المرة ، إذ وفد إلى الفندق زائر غريب ذو ملامح مبهمة وقامة متينة يضع على عينيه نظارة قاتمة السواد ، وكان الكسندر قابعا فى البهو وفى يده كتابه المعتاد ، ويبدو أنه كان يترقب وصول إنسان ما ، فبمجرد أن دلف الغريب من باب الفندق هب هو واقفاً ، وبعد أن تصافحا صحب ضيفه إلى غرفته وهناك قضيا ساعة كاملة هبطا بعدها إلى البهو . كان الكسندر يتحدث بصوت عال وهو يلاحق خطوات ضيفه ، وعند الدرج ودعه بحرارة ثم عاد إلى التليفون ، وطلب تذكرة طائرة إلى أثينا .

وفى أثينا إختفى الكسندر بولين بصفة مؤقتة من الوجود ، إذ نزل فى أحد الفنادق باسم بيتر فريتز ، وبعد أسبوع قضاه فى حالة بطالة كاملة تقدم بجواز سفر جديد إلى شركة الطيران المصرية وحجز مقعدا إلى القاهرة . وعندما وصل بيتر فريتز إلى مطار القاهرة وجد فى إنتظاره إثنين من الرجال وعربة سوداء. وفى تلك الليلة كانت غرفة عالية فى مبنى المخابرات العامة المصرية ترسل ضوءاً من وراء ستار النوافذ المسدلة ، وليس بإمكان أحد أن يتنبأ بالحديث الذى دار داخل جدران هذه الغرفة بين ضابط الجيش الإسرائيلى ومدير المخابرات العامة المصرية نفسه ، ولكن المؤكد أن الكسندر بولين قد أصبح أشد إخلاصاً لعمله الجديد من وطنه الذى حارب من أجله : إسرائيل .

ولقد عرف فيما بعد أن الكسندر بعد أن قاسى الحرب وويلاتها وبعد أن شاهد زملاءه وهم يتساقطون فى الميدان واحداً بعد الآخر ، إنتابته حالة من السخط العام . وكان سخطه راجعاً إلى ما تمخضت عنه حروب إسرائيل من نتائج ، فقد أقيمت الدولة وأصبحت لها حكومة . ولكن طبقة من الأدعياء والمزورين والإنتهازيين إستغلت هؤلاء الذين قتلوا وقفزت إلى قمة السلطة ، وكان هو صادقا عندما قال " لقد كرهت الحرب ، إنها عملية تجارية بحتة ، لقد باعوا دماء الشباب اليهودى لصالح تجار المفرقعات والصلب " وعرف أيضاً ً أن الكسندر لجأ إلى المخابرات السوفيتية وتمكن من الإتصال بأحد مندوبيها فى سويسرا ، وشرح له إقتناعه بضرورة إنهاء حالة الحرب بين إسرائيل وجاراتها ، وعرض أن يعمل فى خدمة السلام ، ولكن الضابط السوفيتى طبقا لرواية الكسندر نفسه " لم يكن متفقا معى حول مفهوم السلام الذى يعنيه كل واحد منا .. وإنتهت الجلسة دون إتفاق " وكان هذا هو السر فى الإكتئاب الذى إعتراه عندما عاد إلى ذلك الفندق فى زيورخ ذات ليلة .

وإزاء تلك الخيبة التى منى بها ، مضى الكسندر خطوة أخرى ولكن فى الإتجاه المضاد ، إذ إتصل بالمخابرات الأمريكية ، وكان الأميريكيون أكثر سخاء فى الشكليات وحدها ، فقد أوصلوه إلى فندقه بإحدى عرباتهم ووعدوه ببحث المسألة والإتصال به فى أقرب فرصة ، ثم إتصلت به إحدى عميلاتهم وحددت له موعدا عاجلا ، وفى هذا الموعد صدم الكسندر صدمة رهيبة لأن الأمريكيين أيضاً أبلغوه بأن لديهم كل ما يريدونه عن إسرائيل ، وفى وقت لاحق قال الكسندر " لقد كانوا مهذبين معى إلى أقصى حد ، وكان رجلهم الذى تحدثت معه رقيقا إلى أقصى حد ، ولكنى قاومت إحساسا خفيا بأنه يود أن يقول لى إذهب إلى الجحيم " .

ولم يبق أمام موجة البالماخ السياسى سوى أعدائه الذين حاربهم من قبل ، ولست أعرف كيف إتصلوا به ، والأرجح أن الكسندر كان تحت رقابة فراز إستغل حالته المعنوية ثم رشحه للعمل ، ولكن الحياة إكتست لونا مشرقا مع المصريين فقد إستمع مندوبهم إليه ، ثم سأله بإقتضاب : هل معك ما يكفى من النقود ، وأجاب الكسندر بأنه لم يفكر فى مسألة النقود هذه بصفة جدية ، ولكن الضابط المصرى أخبره أنه سوف يقوم برحلة تغطية إلى أثينا ، وأنه سوف يدفع له كل النفقات . وبالفعل أرسل إليه الزائر الغامض الذى سلمه جواز سفر باسم بيتر فريتز ورزمة من أوراق النقد الجديدة وأمراً مختصراً بالإقلاع إلى أثينا.

كان المصريون على عاداتهم حذرين لا يرفعون حواجز الكلفة بينهم وبين الغرباء بسرعة ، فى أصواتهم نبرة ورثوها عن الأجداد ، ولكنهم رغم كل شيء بسطاء يتميزون بالذكاء ، لا ينتظرون من الطرف الآخر أن يريق ماء وجهه، وفى نفس الوقت كانوا ملهوفين يترقبون رجلا مثل الكسندر لكى ينفذوا من خلاله إلى قلب عدوهم . وكان من الضرورى أن يحملوا الكسندر إلى القاهرة ، لكى يفرغ ما فى جعبته من معلومات هامة وليتلقى أوامره من الرؤساء مباشرة ، وفى مبنى المخابرات العامة فى القاهرة تأكدت حقيقة الكسندر منذ أول وهلة ، كرجل ساخط على قيادته السياسية ، معادٍ للحروب ، وقد عرضت عليه مجموعة هائلة من الأفلام والصور وشاهد عرضاً بـ" البروجكتور " لبعض فرق الجيش الإسرائيلى . وقيل له ، أن لدينا كما ضخما من المعلومات عنكم . ولكننا نرغب فى إقامة شبكة من أنصار السلام هناك ، ولعلكم تنجحون فى تجنيب شعبكم ويلات الحرب .

وعلى سبيل الترحيب والمودة ، دعى الضابط الإسرائيلى الشاب إلى الإفطار مع مجموعة من ضباط المخابرات الشبان ، وكان يجلس إلى صدر المائدة

أحد الضباط الكبار ، وأثناء تناول الشاى قال ضابط كان يحتل المقعد المجاور لالكسندر وهو يملأ له قدحه ، لقد حاربناكم مرة ، كم قتلنا منكم ، وكم سوف نقتل فى المرات القامة ، وإلى متى ستتحملون ؟ لقد عانيتم من الإضطهاد والتشرد والإذلال ، ولكنكم أخطأتم الطريق لأنكم سوف تواجهون ما هو أسوأ من ذلك كله ، إن جيشنا يقوى مخالبه بعد كل جولة ، ومخابراتنا أقوى من أن يقاومها أحد .

ولم يكن من اللائق أن يأتى الكسندر إلى القاهرة دون أن يطوف بمعالمها السياحية ، لذلك صاحبه أحد الضباط فى جولة زار خلالها متحف الآثار وقلعة صلاح الدين ، وفى النهاية وقف خاشعا أمام أهرامات الجيزة الشامخة ، وهناك قال بصوت هامس " أعتقد أن لهذا البناء الفريد حكمة واحدة ، لقد أراد أجدادكم أن يقيموا لكم نصباً خالداً يذكركم كلما أظلم الأفق من حولكم ، بأنكم كنتم سادة هذا العالم ذات يوم " .

ومع المآدب والجولات الترفيهية وكل علامات الود تلقى الكسندر تدريباً جيداً وتسلم جهازاً دقيقاً للإتصال اللاسلكى وكاميرا صغيرة لتصوير الوثائق ، ووسائل الكتابة السرية ، وقيل له بوضوح أن المعلومات ليست هدفنا بالدرجة الأولى ، لأننا نريد المعلومات لكى نحول دون نشوب الحرب ، وعليك أن تحافظ على سلامتك ونأمل أن يتزايد عدد أمثالك فى جيش إسرائيل لكى يصبح فى مقدورنا أن نناقش الأمور بهدوء وبغير تعصب أو إنفعال . وهكذا كان الكسندر بولين هو أول ضابط إسرائيلى محارب يسعى بنفسه وبإقتناع لعقد إتفاق سلام مع المصريين .

وبعد أربعة أسابيع فى القاهرة ، غادر بيتر فريتز بجواز سفره الجديد مطار القاهرة متجهاً إلى أثينا ، وهناك فى العاصمة اليونانية القديمة عاد الكسندر بولين إلى الظهور مرة أخرى ، وإختفى بيتر نهائياً . ومن أثينا ، رحل الكسندر إلى إسرائيل ، وعندما وصل إلى بيته فى بئر سبع ، أرسل أول برقية لاسلكية إلى رؤسائه الجدد ، وبعد هذه البرقية أصبح لجهاز المخابرات العامة المصرى جاسوس على دراية واسعة بالشئون والمعدات العسكرية فى صحراء النقب الجنوبية .

وكانت فائدة " عين النقب " ترجع إلى وجوده فى مفترق الطرق بين إسرائيل وسيناء ، وكانت كل التحركات العسكرية الإسرائيلية فى إتجاه إيلات تصل إلى القاهرة قبل أن تصل الوحدات العسكرية نفسها إلى ذلك الميناء ، وكان الكسندر مخلصاً ومتحمساً ، وبإستثناء دفعة النقود التى تسلمها فى زيوريخ لم تدفع القاهرة بنساً واحداً ثمناً لمعلوماته ، فقد كان يتحرك بدافع مبادئه .

ونجح الكسندر فى نشر دعوى السلام بين رفاقه ، وأعتقد أن الشبكة التى ضبطت مؤخراً فى كيبوتز جان شموئيل والتى كان يتزعمها أربعة من ضباط المظلات الإسرائيلين بتهمة التجسس لحساب القاهرة ليست سوى محصلة تيار دعاوى السلام الذى بدأ يتدفق بمساعدة الكسندر بولين ، ولكنه أخطأ خطأ فادحاً عندما حاول إقناع عريف إسرائيلى يدعى " شالوم " بالعمل معه ، والمؤسف أن شالوم معناها سلام. وكان شالوم هذا أحد أفراد المخابرات الإسرائيلية فى بئر سبع .

ويبدو أن المخابرات الإسرائيلية قد تشممت رائحة غريبة عندما أبلغها شالوم بالحديث الذى دار بينه وبين الكسندر لأنها أمرت عميلها بأن يقترب لمسافة أكثر من الضابط المتحمس . وأرسل الكسندر برقية إلى القاهرة ينبئها بأنه نجح فى تجنيد " عريف " فى الجيش الإسرائيلى يعمل فى سلاح الإشارة ، ودهش المصريون

بشدة لهذه البرقية لأنهم لم يكلفوه بتجنيد أحد لحسابهم ، ولاشك أن هناك فارقاً كبيراً بين إقامة شبكة من أنصار السلام وبين تجنيد الجواسيس .

وأبرقت القاهرة إلى عميلها تطلب منه أن يتخلص بسرعة من هذا الشخص ، ولكن الكسندر كان واثقاً بنفسه فرد بأنه يثق تماماً فى شالوم وأنه سوف يحصل عن طريقه على كل الإتصالات العسكرية الإسرائيلية فى النقب ، والأسوأ من ذلك كله أنه صارحه بأنه يعمل لحساب القاهرة ، وأن شالوم وافق هو الآخر على القيام بالتجسس .

وأسرعت المخابرات العامة المصرية بإيفاد أحد عملائها إلى بئر سبع متخفياً تحت ثوب تاجر دراجات فرنسى . وفى بيت الكسندر أتخذ الحديث مساراً ملتهباً ، إذ راح الكسندر ينفى شكوك المخابرات العامة المصرية التى لا تستند إلى أساس ، وكان واضحاً أن العريف الذكى قد تمكن من كسب ثقته .

وفى النهاية سأل تاجر الدراجات مضيفه سؤالاً طلب إجابة صريحة عليه ، وهو: ألم تلاحظ عربة الكشف اللاسلكية بالقرب من منزلك ؟ ولكن الكسندر اعتراه الإرتباك لحظة أجاب بأنه شاهد عربة يبدو أنها مخصصة لهذا النوع من العمل تطوف بالقرب من البيت ، ثم هز كتفيه بإستهتار وهتف : أنهم يتجولون ليل نهار فى كل شارع ولكنهم لا يقصدون هدفاً معيناً ، مجرد إجراء روتينى .

وأمام هذا الإصرار طلبت القاهرة من الكسندر أن يكف عن مباشرة نشاطه إلى أن تصله أوامر جديدة . وأنقضت ثلاثة أشهر من الهدوء . ثم عاود الكسندر الدق على جهاز الإرسال مستعلماً عن الأوامر الجديدة ، وقيل له

ببساطة أن هذه الأوامر سوف تصله فى الوقت المناسب ورغم ذلك انتهز فرصة فتح الإتصال وراح يرسل المعلومات وبعد أن فرغ من مهمته قيل له بأدب أن يمتنع عن إجراء أى إتصال لاسلكى إلى أجل غير مسمى .

ويبدو أن الإسرائيلين أدركوا ما يجرى حولهم ، لأنهم سلموا شالوم مجموعة من الوثائق ، أوامر عمليات ونماذج صرف مهمات وذخيرة وبعض نشرات التنقلات العسكرية ، وأسرع شالوم بالصيد الثمين إلى سيده الذى تناول الجرعة الخادعة بسعادة ، وعكف على تصويرها ، أرسل الصور إلى العنوان الذى كان محدداً للتراسل مس اكسلى هورن – هل جيت – ١٠٠ – ، لندن ، ويترك الإسرائيليون الرسالة لتمضى فى طريها المرسوم دون إعراض .

ولكن قبل أن تصل هذه الرسالة إلى أيدى المصريين كانوا قد أسقطوا هذا العميل من حسابهم .

والمذهل أن الكسندر تمكن بعد ذلك من مغادرة إسرائيل ، ورغم أنه أخطر القاهرة قبل سفره بموعد السفر وعنوان الفندق الذى قرر النزول فيه فى أثينا إلا أنه قضى عشرة أيام دون أن يتصل به أحد ، ولو أن هذا الرجل كان ذكياً ، لاكتشف أن أحد عملاء المخابرات الإسرائيلية كان يتبعه كظله ، واتخذت اللعبة شكلاً مضحكاً فى شوارع أثينا إذ كان الكسندر يتحرك كقطة مغمضة العينين ووراءه عميل المخابرات الإسرائيلية يحصى عليه حركاتة وسكناته ، ووراء الإثنين أحد عملاء المخابرات العامة المصرية يراقب الإثنين .

وذات صباح إستيقظ الكسندر على رنين جرس التليفون وعندما رفع السماعة جاءه صوت يتحدث بالعبرية : " السيد الكسندر ، إرتد ثيابك بسرعة وأهبط إلى صالة الفندق وسوف تلتقطك عربة من أمام الباب " وتتابعت الحوادث بشكل رهيب بمجرد أن فرغ الكسندر من إرتداء ثيابه ، فقد دخل إلى الفندق إثنان من الرجال أشبه برجال البوليس وإقترب أحدهما من موظفة الإستقبال مستفسرا عما إذا كانت لديها غرفة خالية ، بينما أخذ الآخر يفحص القاعة بعينيه ويده فى جيب بنطلونة ، وفى تلك اللحظة ظهر الكسندر على أول الدرج ، وإنطلق مسرعاً إلى الشارع وفى أعقابه إندفع رجل أصلع أشبه بكيس جلدى يترجرج بالشحم ومد أحد الغريبين قدمه بين ساقى الأصلع فإنكفأ على وجهه وإنزلق مسافة مترين وهو على هذا الوضع المشين ، ولم تمنعه كلمات السباب ولا سترته التى تمزقت من تحت إبطيه ، من النهوض بأقصى سرعة ليلحق بالطريد ، ولكن الغريبين تشبثا به وأصرا على أن يقدما له أخلص آيات إعتذارهما، وعبر باب الفندق الزجاجى شاهد الأصلع الكسندر وهو يقفز إلى عربة مرقت بسرعة أمام الباب وعندئذ رفع عقيرته بالإحتجاج .

وفى العربة . وكانت صغيرة ألمانية الصنع . أبدى الكسندر ضيقه للطريقة التى إتبعت فى إختطافه ، ولكن السائق كان شاباً مهذباً فإكتفى بالإبتسام ، وعند بوابة بيت عتيق مبنى بالأحجار وتقوم حوله بضعة أشجار باسقة ، توقف السائق المهذب وأشار إلى الكسندر أن يهبط ، وما أن وطئت قدماه أرض الطريق حتى إنطلقت العربة وهى تزمجر بوحشية ، وعلى الفور فتح أحد الأشخاص باب البيت ودعا الكسندر أن يدخل ، وكان الشخص الذى فتح الباب يبدو متجهما ، وكان هناك كلب ضخم إلى جوار ساقه ، وكان على الكسندر أن يدخل فى هدوء .

وفى الطابق الثانى من هذا البيت الغامض وجد الكسندر ثلاثة ضباط فى إنتظاره وقد إحتل أكبرهم مقعداً عريضاً بجوار النافذة ، ودارت مناقشة عاصفة بين العميل السيء الحظ وبين رؤسائه ، وقيل له أن رجلاً كان يتبعه كظله منذ أن سافر من إسرائيل ، وقيل له أن ذلك الرجل كان مندفعا فى أعقابه عندما غادر الفندق وأن " رجالنا " إضطروا إلى اللجوء إلى أسلوب خشن نوعا ما لكى يعوقوه ولكن الكسندر بقى على عناده .

وفى النهاية نهض أكبر الضباط من مقعده وإقترب بشده من الكسندر ثم وضع يده على كتفه وعندما تحدث إليه كان صوته مشحونا بمشاعر الغضب والشفقة والعطف مختلطة كلها بعضها ببعض ، وطلب منه أن يسافر على الفور بجواز سفر مصرى أعد له مسبقاً ، إلى القاهرة ، حيث يستطيع أن يحل ضيفاً مدى الحياة على الشعب الذى قدم له خدماته .

أوراق من حياة دبلوماسى
قصة حب بين باريس والقاهرة

عرفه عبده علي

ملحوظة هامه : لم يتناول حياة دبلوماسي او سفير اي عمل درامي علي الاطلاق!

بطل هذه القصة سليل إحدى العائلات المصرية العريقة ، الثرية ، المحافظة ، عاش حياة رغدة،وطموح بلا حد .. أنهى دراسته بكلية الحقوق .. ورأى والده ان يكمل تعليمة فى باريس بالحصول على درجتى الماجستير والدكتوراة فى العلوم السياسية والإقتصادية من جامعة" السوربون " .. وذهب الفتى إلى باريس وإلتحق بـ " السوربون " .. وكما أوصاه والده بحث عن سكن لدى إحدى العائلات الفرنسية - حفاظاً عليه من غوايات الشيطان ! .. لم يكن يدرك أنه يسعى نحو قدرة .. حيث القلوب لا تخضع لفوارق الدين واللغة والجنسية ، وحيث يمكن إخضاع العقول .. إلا أن القلوب لا تخضع !

ماذا كان يستطيع فتانا " شهدى " أن يفعل أمام جمال " جانيت " الساحر - الابنة الوحيدة لهذه الأسرة - كانت ولا شك إحدى جميلات باريس ، جمال يتميز بخصوصية ، فإذا كانت باريس بلاد الجن والملائكة .. فمما لا شك فيه أنها إحدى هؤلاء الملائكة !.. قوام رشيق رائع ، وشعر أشقر ،وعينان زرقاوان .. وفوق كل ذلك ، حباها الله بصوت ناعم حنون - تجعل الناسك يفكر فى أشياء تغضب الرحمن ! كانت تلقاه دائماً بإبتسامة رائعة .. يتبادلان بعض الكلمات الخاطفة .. تطور الأمر إلى انجذاب واحاديث طوال .. وعندما يغلق عليه بابه .. يحاول أن يقرأ فلا يقرأ .. ويحاول أن ينام فلا ينام.. ويسرح بخيالة بين بنات وطنه وبلاده .. وبين فتيات باريس .. و" جانيت " على الأخص!

فى خلواتهما ، عرف أنها تحب القراءة وتعشق المعرفه .. فكانت تطلب منه أن يحدثها عن مصر : بلاد الشمس والفراعنة والسحر والتاريخ والكنوز !.. وبدت مصر فى تاريخه عنها : تحفه العالم ومتعة الأخبار وتمنت لو عاشت فى مصر .. وتمضى الشهور .. ويتمكن الحب بين القاهرة وباريس !

أسهمت " جانيت " فى أن تصبح باريس بالنسبة لفتانا : حلماً وغواية ، طافت به فى شوارعها، وبين بيوتها القديمة ، وقضى أحلى ساعات العمر فى أحياء الفن والثقافة : " مونمارتر " و " مونبارناس " و " الحى اللاتينى " حيث المقاهى الشهيرة وشارع المدارس والسوربون والكوليج دى فرانس ومكتبة سانت جنيفييف وحى سان جيرمان دى بربيه حيث التقى فيما بعد سيمون دى بوفوار وجان بول سارتر .. وشارع جى لوساك حيث اقام عميد الأدب العربى (والذى ارتبط بصداقته فيما بعد وخلال أجازاته فى مصر كان حريصاً على أن يلتقى به فى " رامتان " وعن طريق العميد عرف عدد من المستشرقين ومنهم لويس ماسينيون وجاستون فييت وديهامل غيرهم)

وانطبعت فى ذاكرته البصرية اشهر معالم باريس : نهر السين ، وكاتدرائية نوتر دام العملاقة و البانتيون ، وبرج إيفل ، وشارع الشانزليزييه ومشاهد رائعة تليق برسام .. وشارع فوجيرار حيث قصر الماركيزه دى لافاييت ومكتبة باريس التاريخية ومكتبة

السوربون .

وتمر ثلاث سنوات ، نجح خلالها "شهدى " فى الحصول على درجة الماجستير ، ويزداد شوق والديه لرؤيته .. وتقضى " جانيت " أياماً عصيبة قبيل سفره ، وتقضى إليه برغبتها فى الرحيل معه ، فيعدها عندما يحصل على الدكتوراه ويعود نهائياً .. ولولا تربيته الشرقية وحبه وطاعته لوالديه ، لفضل أن يبقى بجوار حبيبته وفى لحظة الوداع ، حيث رافقته إلى ميناء مارسيليا ، تمتد يدها إليه " بسلسلة فضية تزوان بصليب " .. وتلمح دهشته : هذه هدية أمى، وهى أعز هدية ، وانت اعز مالدى فأمنحك إياها !..

فى هذه اللحظه ، يتذكر هدية والدته التى فى جيبه، فوالدته قبيل سفره ، علقت فى عنقه سلسلة تنتهى بمصحف ذهبى صغير .. فيقدمه لها : وهذا هدية أمى لى .. أغلى هدية لأغلى إنسانه ! .. ويحمل هو الصليب .. وتحمل هى المصحف !

ومن الإسكندرية إلى القاهرة .. ويقضى فتانا أيام بين والديه وأقاربه الذين توافدوا فرحاً بلقائه .. وفى إحدى الليالى وفى وجود عماته وخالاته ، يطرح أمر زواجه ويتحمس الجميع لهذه الفكرة ، بل ويستقر قرارهم على " عنايات " ابنه خالته الكبرى .. فاكرين عهد الرضاعة والطفولة .. و "عنايات" اتسمت عليه.. " اسم الله عليه كبر " واسم الله عليها

هى كمان كبرت ! .. وتآمر الجميع على ان تكون الدخلة قبل عودته إلى فرنسا ..

وفى ذات ليلة ،تزف إليه امه البشرى : مستحيل !.. فتدق بيديها على صدرها وتحدث الأزمة .. ويعلم الوالد ، الذى ينتمى إلى أصول تركية ، وتربى تربية تقليدية صارمة أساسها الطاعة ..

ويمضى إلى غرفة ولده ، الذى ارتدى قميص سبور ، وحول رقبتة تبدو سلسلة فضية أنيقة :

- الم تقسم على المصحف الذى علقته امك على صدرك قبل سفرك على الطاعة وتجنب زلات الشيطان .. فى نفس اللحظة يمد يده إلى صدرة فكانت المفاجأة أو الصاعقة !

- صليب ؟!

وينهار علي أقرب مقعد ... لا حول ولا قوة إلا بالله ... ويذهب في غيبوبة .. ويستنجد الفتي بالوالدة والخدم .. ويأتي الطبيب .. صدمة عصبية تستلزم الفراش وعناية طبية خاصة وتمضي الأيام الي أن بدأ يفيق من غيبوبته .. وكانت صدمته ، إعتقاده بإن ولده قد تنصر " .. فأمر في أسي وحسرة بأن يخرجوه من بيته ، ما دام قد خرج عن دينه ، وأعلن براءته من ولده وحرمانه من الميراث ويستدعي كبار العائلة ليبلغهم بقراره !

ويرحل الفتي الي حين ، بينما الوسطاء حائرون ، ويقسمون لوالده أن الفتي ما زال مسلماً ويؤدي الصلاة .. الي أن أقنعوه بأن حكاية الصليب هي مجرد " سوفنير " ليس أكثر !

وصدر الأب عدة قرارات واجبة التنفيذ : أن يتم عقد القران فوراً ، أن يستأنف دراسته في دوله اخري ، أن يستردالمصحف ويرد الصليب وتقطع العلاقات المصرية – الفرنسية!

وعن طريق زملاء " شهدي " في باريس يتوصل الأب الي عنوان الحبيبة ، فيرسل بخطابين ، الأول الي جانيت يخبرها بأن ولده تزوج ابنه خالته وأنه لا أمل في هذا الحب عليها أن تقطع علاقتها به نهائياً ، والخطاب الثاني الي أبيها يخبره تفاصيل ما حدث ، حتي يجبر ابنته علي قطع هذه العلاقة ، بالاضافة الي رفضة أن يزوج ابنته من أجنبي واشتعلت ثورة الأب .. ومضت عدة شهور .. الي أن تقدم للفتاة ضابط طيار وتتم مراسم الزواج بعد أن يئست الفتاة من حبها !

كان الفتي قد تزوج من ابنه خالته .. وبعد مفاوضات والحاح وعهود موثقة وافق الوالد علي سفر ولده لاستكمال دراسته ...

عاد الفتي حاملا لدرجة الدكتوراه ويتوسط له والده في أن يعين بوزارة الخارجية .. ويتولي عدة مناصب ما بين سكرتير وملحق في سفاراتنا بعدة دول ، وخلال هذه السنوات تتلمذ علي يدي نخبة من أساتذة مدرسة الدبلوماسية المصرية العريقة .

منذ أن التحق بالسلك الدبلوماسي عمل في الاتحاد السوفيتي وفرنسا وايطاليا وأثيوبيا والعراق وسوريا ولبنان والبرازيل ورومانيا ومثل مصر في العديد من المؤتمرات الدولية نظراً لطبيعة عمله ، فقد ألحق فتانا بعدة دورات بجهاز المخابرات العامة .. كان فتانا يجيد اللغات الفرنسية والانجليزية والألمانية .. وغي سنوات الستينات ، كان جهاز الموساد الاسرائيلي توسع في تجنيد العملاء من الشباب المصري والعربي الذين ذهبوا الي أوروبا إما للدراسة أو لتحقيق أحلامهم في الثراء ، كان أخطرهم شاب مصري فاشل في " ميونيخ " كانت مهمته تجنيد عملاء جدد واسقاطهم في بئر الخيانة .. وتطلب الأمر وجهاً جديداً ليس من بين ضباط المخابرات .. وبين جدران الصمت العتيدة كان الاجتماع وتم الترتيب للعملية ..

وفـي مطـار ميـونيخ ، وبعـد إنتهـاء إجـراءات الجـوازات ، خـرج المهنـدس " احمـد الخـولي" رجـل الاعمـال المصـري ، ومـن يبحـث عن اسمه فـي نقابـة المهندسين أو فـي الغرفة التجارية سيجد بياناته صحيحة تماماً .. لاحظ رجل الأعمـال المصري الانيق عقب خروجه من المبنـي : إحدي مضيفات الطـائرة المصرية وهي تتحدث الـي شـاب مصري وتعالت ضحكاتها بشكل يوحي أنهما يعرفان بعضهما منذ زمن ، سألها عن مصر واحوالها وعن ركـاب الطـائرة وحانـت منـه نظرة نحو الباشمهندس الانيـق وارتفعت نبرات صوتـه بالعربية حتي يلفت نظرة ، لكنه مضـي فـي طريقـة ليستقل تاكسـي بعد ان انطبعت صورة العميل أو " سمير" في ذهنه تماماً ....

كانت المعلومات تفيد بأن سمير اتخذ من كافي شوب " برنسيس " في ميونيخ ملتقي للاصدقاء وعقد الصلات مستغلا براءاتـه فـي الحديث وخفـة ظلـه .. كـان سمير يتقاضـي راتبا من الموساد ١٠٠٠ مارك شهرياً ، و ٦٠٠ مارك عن كل رأس يستطيع إسقاطه !

عقد سمير صداقات مع موظف المطار حتي لا يرتاب أحد في كثرة تردده ، عارضا خدماته علـي المصريين القـادمين ، ومنهـا النـزول فـي ضيافته حتـي العثـور علـي فنـدق او سكن مناسب ، ومنها إرشادهم الي دور المتعة التـي انشـأها الموسـاد فـي ربـوع أوروبـا للايقـاع بالعملاء !

نـزل المهنـدس احمـد الخـولي الـي هـول الفنـدق يحمـل مفتـاح غرفتـه .. بنظـره واحـده خاطفة شمل المكان كله وحدد أن يجلس سمير وخطا نحو مكتب الاستقبال وعندما سلم المفتاح واستدار كان يعلم أنه سوف يصطدم بسمير وتعمد أن ينطق " متأسف " بالعربية وتهلل وجه سمير فصاح فرحاً : متأسف .. الاستاذ مصري ؟

وبلع سمير الطعم ! ... وتوجها الي البار بعد أن قدم كلاهما الي الآخر ... وكان من الطبيعي أن يدخلا سريعا في الحوار حول مشروعات المهندس .

- أنا أعرف واحد هنا في ميونيخ ممكن يساعدك في تحقيق أحلامك ومشروعاتك

يبتسم المهندس ونفخ دخان سيجارته :

- عايز كام كوميشن ؟

هكذا يتحدث رجال الاعمال وهكذا اطمأن سمير .. وهكذا تحدد ميعاد للقاء الرجل الألماني وهو في حقيقتة ضابط المخابرات الاسرائيليه !

وفي الموعد المحدد ، كان يدرك تماما ان خصمه سوف يحصي عليه كل كلماته ولمحاته .. واذا كان قد استعد بجهاز تسجيل أقل من حجم علبة الكبريت فقد كان واثقا أن خصمه قد فعل نفس الشئ

تعددت اللقاءات في هذا المقهي الخافت الأضواء ، وابتلع " مولر " الطعم عندما حدثه المهندس عن أوضاع الصناعة في مصر والمشاكل التي يواجهها رجال الاعمال .. وبتفاصيل كانوا في أشد الحاجة اليها .. وتمت الاتفاقات المبدئية وحان موعد العودة الي القاهرة وكان سمير في وداع " صيده العظيم " في مطار ميونيخ .

بعد حوال أسبوعين ، وصل الي سمير خطاب من المهندس الخولي يطلب منه الحضور الي القاهرة لبحث بعض البنود تمهيداً لتوقيع العقود ، ومر نحو اسبوعين آخرين ، حتي وصلت الي المهندس برقية تفيد بموعد وصول سمير .. ومن أمام مطار القاهرة إستقبلا سيارة قادتهما الي مبني المخابرات المصرية !

تنقل صاحبنا بين عدة بلدان في امريكا للاتينية وفي أوربا وعقد الكثير من العلاقات مع الكثير من الدبلوماسيين ووزراء الخارجية .. ومع مطلع عام ١٩٦٦ طلب منه الملحق الأمريكي باحدي الدول الافريقية أن يلقاه علي عجل ، وقد عرف عن هذا الملحق كراهيته لليهود الذين قتلوا والده .. وفي هذا اللقاء " السري " أطلعه علي وثائق تؤكد بإن اسرائيل تعد لحرب ضد مصر وسوريا خلال عام ١٩٦٧ ..

ويتصل بوزير الخارجية " محمود رياض " ويطلب منه تحديد موعد مع الرئيس عبد الناصر علي وجه السرعة !

وخلال ٤٨ ساعة ، كان وجهاً لوجه أمام الزعيم وأطلعه وحدثة بكل ما لديه ، وطلب الرئيس " صلاح نصر " مدير المخابرات العامة في ذلك الوقت ، وكانت المفاجأة في تعقيب صلاح نصر أنه يتشكك في هذا الكلام وأن الاسرائيليين غير قادرين علي مواجهة اكبر " قوة ضاربة في الشرق الأوسط " ولا يمكن أن يفكروا في حرب فيها نهايتهم !

ويطلب صلاح نصر الحديث علي انفراد مع الرئيس .. وينصرف السفير ، وقال صلاح نصر : هذا الرجل عميل مزدوج وهذا الكلام لا يمكن أن يصدر عن رجل وطني !

وكانت بداية المأساة الرهيبة التي عاشها بطلنا ، حيث توجهت قوة الي منزله وألقت القبض عليه ، وأودع معتقلاً في السجن الحربي ! .. وما أدراك ما السجن الحربي في زمن الفريق " الدجوي " .. وفي مواجهة ألوان التعذيب اليومي لم يجد سوي التوجه الي الله تبارك وتعالي أن ينقذه من هذه المحنه .. واستجاب الله لدعائه ، يوم أن استدعاه الفريق الدجوي الي مكتبة وأخبره بأن لديه ولد وبنت في المرحلة الاعدادية فاشلان ومشاغبان ، والجميع في المدرسه يتجنبهما لأنهما أولاد الفريق الدجوي .. والامتحانات اقتربت ، فعرض عليه أن يقوم بالتدريس لهما في المنزل ، واستعان بالله في هذه المهمه

، وبامكاناته الدبلوماسية ، فعمل في البداية علي أن يقربهما منـه ، فكـان يحكي لهمـا عن أسفاره ورحلاتـه بين ربـوع العـالم ، وبأسلوبه المتميـز أقبلا علـي دروسـهما .. وكانـت النتيجة في نهاية العام ليس فقط النجاح وإنما التفوق بجدارة ! ..

ومـرت الشـهور ، ورفـع عنـه التعذيب ، الـي أن حـدثت كارثـة ٥ يونيـو .. وهنـا وفـي تضـخم الأحـداث ، يتـذكر عبـد النـاصر بطلنـا .. ويطلـب مـن وزيـر الخارجيـة إسـتدعائه .. ويفاجـأ الـرئيس بـأن سيادة السـفير فـي المعتقـل .. وتثـور ثورتـه علـي الجميـع .. بـدأ مـن سامي شرف : " انتو عايزين تعملوا ايه ف البلد اكتر من كده " ! .. ويـأمر محمـد أحمـد باستدعائه فوراً .. ويؤتي به في سيارة سوداء مسدلة الستائر ، علي رأسه الطاقية إياها ، ومـدفع رشـاش فـي جانبـه الأيمـن ، وأخـر فـي جانبـة الأيسـر .. ويفاجـأ محمـد احمـد بهـذا المشـهد عنـد إخراجـه مـن السـيارة ، فيصـرخ ويسـب الجميـع ، معتـذراً لسـيادة السـفير : " الريس عايز يشوفك " وعبثاً حاول مع محمد احمد أن يعود الي منزلـه – تحت الحراسة – ليأخذ دشاً ويغير ملابسه ، لكنه رفض ! .. وأدخل علي الرئيس الذي اعتـذر لـه عمـا حـدث وأنه لم يكن يعلم ! .. طلب منه الجلوس وأن يتغديا سوياً ، فقط يطلب ما يشاء ، اما هو – الرئيس – فسيأكل " عيش ناشف وجبنة خفيفة " حسب تعليمات الاطباء .. غير أن الرجل الدبلوماسي قال بأنه سيأكل من نفس ما سيأكله الرئيس !

- طبعا عرفت المصيبة اللي حصلت

- أيوة يا ريس

- في رأيك .. إيه الحل ؟

- رأيي يا ريس .. إن الحل في إيد الامريكان بنسبة ٩٩ % (فكان صاحب هذه المقولة الشهيرة التي كان يرددها السادات ، ثم زادها مبارك الي ١٠٠ %) !

- انا عرفت انك علي صله ممتازة بالمسئولين في الادارة الأمريكية خصوصاً " دين راسك " وزير الخارجية .. عموماً افتح قناة سرية معاهم ومعاك " كارت بلانش " في كل خطوة .. وضروري تتصل بي في أي وقت وتطلعني أول بأول علي آخر التطورات .. !

عن طريق " دين راسك " يتحدد له ميعاد في البيت الأبيض ، في اليوم التالي مباشرة " بكرة الساعة السابعة والنصف حتفطر مع الرئيس جونسون " !

(تفاصيل هذا اللقاء التاريخي ، والذي يكشف عن براعته الدبلوماسية أمام عنجهية جونسون)

عرض عليه عبد الناصر أن يكون وزيراً للخارجية ، فرفض ان يخلف أستاذه محمود رياض وعبثاً حاول الزعيم باعتبار أن المرحلة الجديدة تتطلب فكراً وتوجيهاً جديداً وفي النهاية قبل أن يتولي إدارة امريكا : أهم إدارة بوزارة الخارجية .

وقد شارك بطلنا في الوفد الرسمي المصاحب للزعيم عبد الناصر ، في مؤتمر الخرطوم الشهير عام ١٩٧٠ قبيل عدة أشهر من وفاة الزعيم (الصداقة الوطيدة التي جمعته بالسيد / محمد احمد محجوب السياسي الشهير ووزير خارجية السودان ثم رئيس الوزراء فيما بعد – تفاصيل) .. وقبيل عقد الجلسة الأولي اقترح عبد الناصر بأن يبادر للصلح مع الملك فيصل ، لتبدأ مشاهد في الكواليس كان بطلها سعادة السفير ، وتفاصيل بالغة الاثارة والتأثير (وقد ارتبط بطلنا بعلاقة وثيقة بالملك فيصل وصهره " كمال ادهم " الرجل الرهيب ومدير المخابرات السعودية)

يجدر بالذكر أن السادات ، في الفترة التي فصل فيها من الجيش وكان مطارداً .. كان صديقاً لبطلنا ، كما كان صديقاً لزكريا الحجاوي في الجيزة .. كان يأتي لبطلنا في سراي العائلة بحدائق القبة ، وروي الكثير من ذكريات تلك الفترة ، خاصة فيما يتعلق بأم ابراهيم الشغالة والتي كانت تصفه بـ " الواد صاحبك الأسود " !

اتخذه السادات – عقب توليه الرئاسة – صديقاً ، مع الحذر الكامل لبطلنا وهو يعلم أن السادات " ليس لديه عزيز " ! .. كان يشكو إليه سوء معاملة " جيهان " .. وتلاقت أفكارهما السياسية ، وفي " كامب دافيد " كان عضواً بوفد مصر الرسمي ، وأبدي مع غيره من المخلصين تحفظاتهم علي تنازلات السادات من أجل " صديقة كاتر " !

خلال سنوات حكم السادات .. إلتقي بطلنا في عواصم أوروبا ، خاصة باريس ولندن ، بعض من حيتان عصر الانفتاح الذين أصبحوا بفضل النهب والسرقة وانعدام الضمائر ملوكاً وأباطرة ، ولكن الاخطر من هؤلاء كانوا أولئك " المناضلين " .. فئة من الخونة والعملاء التافهين المتاجرين بالشعارات السياسية والعداء لنظام البعثي في العراق ونظام القذافي ومنظمة التحرير الفلسطينية !

بعض هؤلاء كانوا يمتلكون الفيلات والقصور والشقق الفاخرة ، وبعضهم محجوز له جناح بأحد الفنادق الفخمة ، ولم يغادروا أجنحتهم منذ سنوات طويلة ! .. ناهيك عن الملاهي وعلب الليل التي يناضلون فيها كل ليلة .. مناضلون أشكال وألوان .. بعضهم قام بتأسيس حزب أو جريدة للهجوم علي السادات وبالتالي يستمر ضخ الأموال الملطخة بالنفط ! .. وكان عندما يلتقي بأحد هؤلاء " المناضلين " يكاد يجزم بأن : الثورة مستمرة والوحدة بين العرب علي وشك القيام مما سيهدد القوي الكبري .. والرايات مرفوعة والمعارك مستمرة .. والكفاح دوار !

ومنهم رئيس حزب " النهضة العربية " الي كان يقدم نفسه " سكرتير الرئيس ناصر" وفي الحقيقة كان المكلف بتقديم القهوة للزعيم ! .. وضم مكتب الحزب بعض المسئولين

في عهد عبد الناصر وبعض أعضاء منظمة الشباب ، ولتأمين أنفسهم بالسبوبة : قاموا بتأسيس شركة للنقل في جزر الباهاما .. كما أن عمل الشركة سيسهم في إلتقاء الشباب المؤمن بالوحدة والقومية من مراكش الي بغداد !

كذلك أدرك بطلنا أن من يعملون لصالح أجهزة الاستخبارات : بعضهم محترفون وبعضهم هواه .. خليط من رجال الأعمال ، والطلبة ، ومن مختلف المهن والطبقات .. هذا ما لاحظة في باريس ولندن بصفة خاصة ، قساوسة في ملابس الكهنوت يرسمون علامة الصليب كثيراً ويتقاضون اكثر من أجهزة المخابرات ، ولوردات ومهراجات وباشوات سابقين وحاليين ، وزعماء أحزاب عربية ورقية ، وأطباء ، وناشطون حقوقيون "متطوعين" .. كما أدرك تماماً ، أن هذه الأجهزة لا ترسم السياسات ولا تنفذها لحسابها ، وانما هي تعمل لحسابات مؤسسات كبري عابرة للقارات !

فى شهر يوليو عام ١٩٨٨ ، قرر بطلنا قبول دعوة السفارة الفرنسية بالقاهرة ، للإحتفال بالعيد الوطنى لفرنسا ، ليخرج قليلاً من شواغل الحياة والعمل ويستعيد أجواء الحفلات الدبلوماسية .. ضم الحفل بعض المسؤولين السياسيين والدبلوماسيين المصريين، والسفراء الأجانب ، وعلماء المصريات ، وبعض الصحفيين ، والبعض من العاملين بالمؤسسات الفرنسية فى مصر ... وكانت المفاجأة ، عندما رأى حبيبة عمره

"جانيت" .. التفت العيون وخفقت القلوب .. تسللت شعيرات بيضاء إلى رأسها وترك الزمن بعض بصماته على وجهها ، لكنها احتفظت بنضارتها ورقتها وجاذبيتها فكانت أشبه بالفراشة وهى توزع إبتساماتها وكلمات المجاملة والترحيب بالمدعوين .. عرف منها أنها ترأس قسم العلاقات العامة بالسفارة الذى التحقت به منذ عدة سنوات وسألها عن أحوالها الإجتماعية ..

وعرف منها ما مر بها من أحداث ، كان أبرزها زواجها من ضابط طيار ، لم تسعد به كثيراً ، عندما سقطت به طائرته فى مناورة تدريبية .. وسرعان ما خرجت من أحزانها بالإستغراق فى عملها .. تنقلت بين عدة شركات خاصة ومؤسسات فى أعمال السكرتارية والعلاقات العامة ، مما أكسبها خبرة رائعة مكنتها من الإلتحاق بقسم العلاقات العامة بالسفارة الفرنسية .. ومضت بها الحياة ...

كان طبيعياً أن يسألها : لماذا لم تحاول الإتصال به ؟.. ويستعيدا ذكريات باريس وزمن البراءة .. هو الآن يملك قراره .. فلماذا لم تتصل به ؟.. وأخبرها برغبته فى تحقيق الحلم "القديم" ويتوج حبهما بالزواج بها .. لكنها أخبرته بأنها : فضلت ـ ومازالت ـ أن تحيا فى ذكرياتها ، تاركة إياه لزوجته وأولاده .. ووطنه !